

الباب الثالث

الوضع في الحديث...

الفصل الأول : ابتداء الوضع وأسبابه .

الفصل الثاني : جهود الصحابة والتابعين ومن تبعهم في مقاومة الوضع وحفظ الحديث .

الفصل الثالث : آراء بعض المستشرقين وأشباعهم في السنة ونقدتها .

الفصل الرابع : أشهر ما ألف في الرجال والموضوعات وهو ثمار جهود العلماء في المحافظة على الحديث .

الفصل الأول

ابتداء الوضع وأسبابه ..

أولاً - ابتداء الوضع :

بقى الحديث النبوى صافيا لا يمتريه الكذب ، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الأربعة الراشدين ، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب ، وقبل أن يندس في صفوفها أهل المصالح والأهواء ، وكانت البادرة الأولى التي ترتبت عليها الاضطرابات الكثيرة في القرن الهجري الأول هي فتنة عثمان رضى الله عنه واستشهاده ، فقد هزت العالم الإسلامى هزة عظيمة ، وأورثت الأمة عواقب وخيمة ، امتدت آثارها إلى يومنا ، ثم اجتمعت - بعد الفتنة - كلمة المسلمين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، إلا أن الأحداث كانت أقوى من أن تفسح للهدوء والسلام سبيلا إلى الدولة آنذاك ، فحصل انقسام كبير في صفوف الأمة ، تجسم في معسكر أمير المؤمنين على الذى انطوى تحت جناحه أهل الحجاز والعراق ، ومعسكر أمير الشام معاوية الذى انضم إليه أكثر أهلها وأهل مصر .

وقد جر هذا الانقسام على الأمة الحروب الطاحنة ، وما لبث أن انتهى بالحكيم الذى كان سببا لظهور فرق سياسية مختلفة^(١) ، فالجمهور يؤيدون عليا

(١) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم ص ٢٦٨ - ١ ، والتبصير في الدين ص ٦ ، وغير الإسلام ص ٢٥٦ .

رضى الله عنه ، لأنه الخليفة الذي بايعته الأمة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ،
وحزب معاوية قام مطالبا بدم عثمان ، وانتهى به الأمر إلى طلب الخلافة ،
وممارسة الحكم فعلا بعد التحكيم ، والخوارج قوم من شعبة أمير المؤمنين على
انشقوا عنه لأنه قبل التحكيم ونادوا (لا حكم إلا لله) ، وقسموا على معاوية
لأنه يريد أن يقول أمر المؤمنين ، وهذا لا يكون إلا بالشورى بينهم ، وكان
هؤلاء أشداء أقوياء ، جلهم من العرب الجفاة القساة ، وكان لأمير المؤمنين على
رضى الله عنه معهم مواقع كثيرة وحروب دامية مدة خلافته ، كما كان لهم أثر
بميد في إقلاق مضاجع خلفاء بنى أمية طيلة الحكم الأموى .

وبعد استشهاد على رضى الله عنه قام بعض شيعته يطالبون بحقهم
في الخلافة .

وهكذا نشأت الأحزاب والفرق التي اتخذت شكلا دينيا كان له أبلغ الأثر
في قيام المذاهب الدينية في الإسلام^(١) . وقد حاول كل حزب أن يدعم ما يمدى
بالقرآن والسنة ، ومن البدهى ألا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه في نصوص
القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فتأول بعضهم القرآن ، وفسروا بعض نصوص
الحديث بما لا تحتمله ، إلا أن هذا لم يحقق ما يرمون إليه ، ولم يجد بعضهم
إلى تحريف القرآن أو تأويله سبيلا ، لكثرة حفاظه ، فتناولوا السنة بالتحريف
وزادوا عليها ، ووضعوا على رسول الله ما لم يقل^(٢) ، ونشطت حركة الوضع مع
الزمن ، حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع ، وظهرت أحاديث موضوعة
في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الأحزاب ، ثم ظهرت

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ص ٨٩

(٢) انظر الآل. المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

أحاديث صريحة في دعم المذاهب السياسية والفرق الدينية ، وكانت الأحاديث الموضوعية تولد مع ظهور الفرق ، فينبغي من يضع أحاديث تنقص تلك الفرق ، كما يقف الواضعون من الخصوم للدفاع عنها وهكذا ، حتى تكونت مجموعة من الأحاديث الموضوعية التي كشف عنها جهابذة هذا العلم ورجاله ، ولم يقتصر الوضع على فضائل الأشخاص ، ودعم الآراء والأنسكار العقائدية والمذاهب السياسية ، بل تعداها إلى مختلف أبواب الحديث ، وكادت الأحاديث الموضوعية تتناول جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة ، فوضعت أحاديث في الفضائل والمثالب ، وأحاديث في مناقب البلدان والأيام ، وأخرى في العبادات المختلفة وفي المعاملات والأطعمة والأدب والزهد ، والفكر والدعاء ، وفي الطب والمرض والفتن والمواريث وغيرها .

ويجدر بنا أن نبين أن الوضع لم يصل إلى ذروته في هذا القرن ، لأنه نشأ قبل منتصف القرن الهجري الأول بقليل ، وسرعان ما كان يعرف الحديث الموضوع لسكته الصحابة والتابعين الذين عرفوا الحديث وحفظوه ، ولم يؤخذوا بأراجيف الكذابين ، وأخبار الوضاعين ، هذا إلى أن أسباب الوضع في ذلك القرن لم تكن كثيرة ، وكانت الأحاديث الموضوعية تزداد بازدياد البدع والفتن ، وكان الصحابة وكبار التابعين وعلمائهم في معزل عنها .

وبصور لنا الإمام ابن تيمية ذلك في قوله : « والصحابة رضي الله عنهم كانوا أقل فتناً من سائر من بعدهم ، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف ، ولهذا لم يحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة ، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان بدعة الخوارج المكفرين لملى ، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته

أو إلهيته^(١)، ثم لما كان آخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية . ثم لما كان في أول عصر التابعين ، في أواخر الخلافة الأموية ، حدثت بدعة الجهمية والمشبهة الممثلة ، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك ، وكذلك فتن السيف ، فإن الناس كانوا في ولاية معاوية رضى الله عنه متفقين يغزون العدو ، فلما مات معاوية قتل الحسين ، وحوصر ابن الزبير بمكة ، ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة^(٢) ، ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط ، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله وجرت فتنة ، ثم جاء مصعب بن الزبير فقتل المختار وجرت فتنة ، ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة ، وأرسل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله وجرت فتنة ، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه محمد ابن الأشعث مع خاق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة ، فهذا كله بعد موت معاوية ، ثم جرت فتنة ابن المهلب بنجراسان ، وقتل زيد بن علي بالكوفة وقتل خلق كثير آخرون ، ثم قام أبو مسلم وغيره بنجراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها^(٣) .

وعلى هذا فإننا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة ، كما نستبعد تطوع أحد من الصحابة بوضع الحديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن أن يتصور مسلم الصحابة الأجلاء ، الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الله

(١) على اختلاف الرافضة في ذلك بحسب فرقهم وما ذهبت إليه كل فرقة منهم .

(٢) وأمة الحرة مشهورة كانت سنة ثلاث وستين أيام خلافة يزيد بن معاوية ، وسميت بذلك نسبة إلى « حرة واقم » قرب المدينة . انظر هامش صفحة : ٢٩٣ من الثاني من منهاج الاعتدال .

(٣) الثاني من منهاج الاعتدال ص ٣٨٦ - ٣٨٧

ودافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجروا أوطانهم وقاسوا ألوان العذاب ، ومراة العيش استجابة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، لا يعقل أن يتصورهم يفترون ويكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهم الذين نشؤوا في رعايته ، وتخرجوا في جامعته ، ونهلوا من معينه ، وتأسوا بعمله ، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية ، لذلك ننفي إقدام الصحابة الكرام على الكذب على رسول الله .

وإن ما نقله بعض أهل الأهواء — من أن بعض الصحابة والتابعين كانوا يضعون في على عليه السلام الأخبار القبيحة التي تقتضى الطعن فيه والبراءة منه ، إرضاء لمعاوية الذي (جعل لهم على ذلك جُعلا يرغب في مثله فاختلفوا ما إرضاه . منهم : أبو هريرة ، وعمر بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير ^(١)) إن ما نقله هؤلاء وغيرهم لا يرقى إلى الصحة ، وتاريخ الصحابة ينفي هذه الادعاءات ويدحض مثل هذه المزاعم .

وإن الواقع التاريخي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ينفي كل افتراء على الصحابة في هذا الموضوع ، والصحابة أسمى بكثير من أن يخوضوا في الكذب والوضع ، وهم الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة قوله : « مَنْ تَعَمَّدَ عَلَى كَذِبٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ^(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم « إِنْ كَذَبَ عَلَى لَيْسَ ككَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ،

(١) نقله ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي ، انظر شرح نهج البلاغة طبعة بيروت ص ٤٦٧ ج ١ وقد ردنا رداً مفصلاً على هذا الادعاء في الفصل الثاني من (أبو هريرة) ، وانظر كتابنا « أبو هريرة رادة الإسلام » .

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي وأخرج نحوه الإمام أحمد . انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢ .

مَنْ كَذَبَ عَلَىٰ فَلْيَنْبِئُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ^(١) ، فلا يعقل أن يقدم أحد من الصحابة — بعد أن عرف جزاء الكذب على رسول الله — على وضع واختلاق ما لم يقله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن يجازف أحد منهم بالنور النبوي الذي خالط قلبه وروحه ، فيطفئه بوضع حديث في سبيل دعم فكرة أو للانتصار لحزب أو للتقرب من شخص ، وإن أية محاولة في سبيل إثبات الوضع من قبل الصحابة ستبوء بالفشل ، لكثرة الأدلة الفاطمة على ورعهم وخشيتهم وبعدهم عن المعاصي ، واعتزال أكثرهم الفتن وابتعادهم عن الضلالات والبدع ، بل إن الأدلة على أنهم كانوا حفظة للشريعة يذوبون عن السنة التحريف والتأويل أكثر من أن تحصى ، ولو فرضنا جدلا وقوع الوضع من بعض الصحابة — وهذا بعيد — فإن ذلك سينكشف أمره وينتقل إلينا كما انتقلت أخبار كثير من الحوادث الجليطة والدقيقة^(٢) ويقوى هذا عندنا ، ذلك الوعي الرفيع الذي كان يتميز به الصحابة وكبار التابعين ، إلى جانب رسوخهم في الحديث النبوي الشريف ، الذي يسهل عليهم معرفة الصحيح من الموضوع ، وراء هذا كله جراتهم

(١) أخرجه الشيخان والترمذي عن المنيرة بن شعبة ، انظر تمييز المرفوع عن الموضوع

ص ٢ : ب .

(٢) وقد ذكر لنا المؤرخون والمحدثون حادثة واحدة كذب فيها رجل عن رسول الله فكانت

مصيره الموت : أخرج الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو أن رجلا لبس حلة مثل حلة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى أهل بيت من المدينة فقال : إنه عليه الصلاة والسلام أمرني أي أهل بيت من المدينة شئت استطلعت ، فأعدوا له بيتا وأرسلوا رسولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه ، فقال : لأبي بكر وعمر انطلقا إليه فإن وجدناه ميتا قد كفيتهما ، ولا أراكما إلا قد كفيتهما ، فخرقا ، فأتياه فوجداه قد خرج من الليل يبول فلدغته حية فأت ، فخرقا ، فأتاهم رجعا إليه صلى الله عليه وسلم فأخبراه الخبر ، فقال عليه السلام : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . انظر : تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٤ : ب . وفي سنده خطأ . بن

الساب قد اخطأ . انظر مجمع الزوائد ص ١٤٥ ج ١ .

الثالثة في الحق ، وهى جرأة لم ترض لهم أن يسكتوا عن آباؤهم وأعر
الناس إليهم إذا انحرفوا عن سواء السبيل ، ولم يكن يخفهم آنذاك سلطان
الحاكم ، ولا نفوذ القوى ، بل كثيرا ما كانوا يعترضون على الحكام
والعلماء وغيرهم ، يبينون وجه الحق ، لا يخافون فيه لومة لائم .
وإن التاريخ الإسلامى يميز بذلك الجيل الذى تمثل الإسلام ، وعمل به فكان
قدوة حسنة للأجيال التالية ، وإن هذا كله ليدفع كل شبهة تخوم حول إيقاع
الصحابة في نار الوضع^(١) .

وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم في الوضع ننفي عن كبار التابعين
وعلمائهم ذلك أيضا ونقرر أنه إذا حصل الوضع في النصف الأول من
القرن الهجرى الأول ، فإنما صدر عن بعض المستهترين الجاهلين من طبقة
التابعين وأتباع التابعين ، الذين حملهم الخلافات السياسية والأهواء
الشخصية على انتحال الكذب ، ووضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وفى هذا العصر — عصر التابعين — كان الوضع أقل من الوضع
في عصر أتباع التابعين ، لكثرة الصحابة والتابعين الذين مارسوا السنة وبينوا
السقيم من الصحيح ، ولعدم تفشى التحلل والكذب في الأمة ، لقربها من
عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ لا تزال متأثرة بتوجيهاته ، محافظة على
وصاياه ، تعصها التقوى والورع والخشية ، كل هذا خفف من انتشار الكذب
والوضع ، إلى جانب أن دواعى الوضع وأسبابه كانت ضيقة محدودة في نشأتها
الأولى ، ثم كثرت وازدادت فيما بعد .

(١) لقد سبق أن بينت أن الصحابة كانوا لا يكذبون في عهد الرسول وبعد وفاته في بحث
(تلقى الصحابة السنة من الرسول الكريم) صفحة : ٥٧ وكيف كانوا يصدق بعضهم بعضا ،
واقطر المحدث الفاضل ص ٣٢ : ب - ٣٣ : آ والمنع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢ : آ
(١٣ - السنة)

ونرى الأحاديث الموضوعة قد ظهرت بكثرة في العراق ، حيث قامت أكثر الفن والحوادث في هذا الإقليم ، كما نشأت بذور الفرق الدينية فيه ، وكادت ثقة المحدثين تفقد بلاء هذا القطر ، لولا قيام نقاد الحديث ورجاله وعلمائه بالكشف عن الكذابين ، وبيان أحوالهم وتبجيهم .

وقد اشتهرت العراق بالوضع حتى سميت « دار الضرب » تضرب فيها الأحاديث كما تضرب الدراهم ، وكان أهل المدينة يتوقون أحاديثهم ، وكان مالك يقول : « نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم . » وقال له عبد الرحمن بن مهدي : يا أبا عبد الله ، سمعنا في بلدكم - (المدينة) - أربعائة حديث في أربعين يوما ، ونحن (أي في العراق) في يوم واحد نسمع هذا كله ، فقال له : يا عبد الرحمن ، من أين لنا دار الضرب التي عندهم ؟ دار الضرب تضربون بالليل وتنفقون بالنهار ^(١) . وقال ابن شهاب : « يخرج الحديث من عندنا شهرا فيعود في العراق ذراعا ^(٢) » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لجماعة من أهل العراق جاؤوا يسألونه أن يحدّثهم : « إن من أهل العراق قوماً يَكْذِبُونَ ويَكْذِبُونَ ويسخرون ^(٣) » .

* * *

ثانياً - أسباب الوضع

ذكرت فيما سبق أن أسباب الوضع الرئيسية هي انقسام الأمة إلى أحزاب سياسية ، اتخذت شكلا دينيا ، وحاول كل حزب أن يدعم موقفه ويؤيد آراءه

(١) المتفق من منهاج السنة ص ٨٨ ، ثم قال ابن تيمية بعد هذا : (ومع هذا إنه كان في الكوفة وغيرها من الثقات الأكابر كثير .)

(٢) ضحى الإسلام ص ١٥٢ ج ٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ص ١٢٢ قسم ٢ ج ٤ .

بوضع أحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدادت الأسباب التي كان لها أثر بعيد في وضع الحديث ، وبجمل هذه الأسباب فيما يلي :

١ - الأهراب السياسية :

كان أول ما ظهر عقب فتنه أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه شيعة الإمام علي ، وحزب معاوية ، ثم ظهر الخوارج بعد وقعة « صفين » ، وسنقاتل يا بخارج أثر كل حزب في وضع الحديث .

(١) أثر الشيعة ومقصودهم في وضع الحديث :

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : « إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم . فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث (١) » .

ومما يؤسف له أن بعض أهل الأهواء وأعداء الإسلام اتخذوا التشيع ستاراً لتحقيق أهوائهم ، والوصول إلى مآربهم ، فكان كثير من الفتن يقوم باسمهم ، فنسب أهل البيت نكبات متوالية ، ذهب ضحيتها خيرة أبناء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأحفاده ، وسجل لهم التاريخ مآسي تنفطر لها القلوب ، وتقشع لها الأبدان ، كل ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت ، وهؤلاء المستغلون هم الذين وضعوا الأحاديث في سبيل تأييد حركاتهم وشجعوا على وضعها (٢) .

(١) شرح نهج البلاغة ص ٢٦ - ٣ .

(٢) من هذا ما روى عن أبي أنس الحراني قال : قال المختار (الثقي) لرجل من أصحاب الحديث — اضع لي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم كأن كان بعده خليفة مطالباً له بعهده ولده ، وهذه عشرة آلاف درهم وخلمة ومرتكوب وخدام فقال له الرجل : أما عن النبي صلى الله عليه وسلم

وإننا لا نتصور قط أن يوافق الحسن أو الحسين أو محمد بن الحنفية أو جعفر الصادق أو زيد بن علي وغيرهم من أهل البيت على الكذب على رسول الله جدم وهم على جانب عظيم من الورع والنقي والصفاء ، وإن أهل البيت لأرفع بكثير من أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهذا أحببت أن أبين من أول هذا البحث أن أهل البيت براء من هذا كله ، وإنما حمل إثم الوضع باسمهم من لف حولهم من شيعتهم ، وكثر الوضع ، وأسأؤوا إلى إمامهم على رضى الله عنه أكثر مما أحسنوا إليه بذلك ، قال أبو الفرج بن الجوزى : « فضائل على الصحيحة كثيرة ، غير أن الرافضة لا تفنع ، فوضعت له ما يضع ، لا ما يرفع ^(١) » .

وقد كثر الوضع منهم حتى أساءوا إلى سمعة العراق ، وأصبح أهل المدينة يتوقون حديثهم ، (وصار الأسر يشبهه على من لا يميز بين هذا وهذا ، منزلة الرجل الغريب إذا دخل إلى بلد نصف أهله كذابون خوانون ، فإنه يحترس منهم حتى يعرف الصدوق الثقة ^(٢)) ، وقال أحد أصحاب على رضى الله عنه : « قاتلهم الله ! أى علم أفسدوا ^(٣) » ، وقال عاصم الشعبي : « ما كُذِبَ على أحد في هذه الأمة ما كُذِبَ على على رضى الله عنه ^(٤) » ، ويقول ابن تيمية : « وكُذِبَ الرافضة مما يضرب به المثل ^(٥) » ، وقال ابن المبارك : « الدين لأهل الحديث ، والكلام والحيل لأهل الرأى ، والكذب للرافضة ^(٦) » ، و « سئل

== عليه وسلم فلا ، ولكن اخترت من خشت من الصحابة ، وحطى من الثن ما خشت ، قال : من النبي صلى الله عليه وسلم أو كد ، والمغتاب عليه أحد . انظر الآلية المصنوعة من ٢٤٨ ج ٢ نقله عن ابن الجوزى .

(١) المتفق من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٨٨

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٣ ج ١

(٤) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١

(٥ و ٦) المتفق من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠ .

مالك رضى الله عنه عن الرافضة ، فقال : لا تكلمهم ، ولا تروعهم ، فإنهم يكذبون^(١) » ، وقال الشافعى : « لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة^(٢) » ، وقال يزيد بن هارون : « يكتب عن كل مبتدع — إذا لم يكن داعية — إلا الرافضة ، فإنهم يكذبون^(٣) » ، وقال حماد بن سلمة : « حدثني شيخ لهم تاب — يعنى الرافضة — قال : كنا إذا اجتمعنا ، فاستحسننا شيئا — جعلناه حديثا^(٤) » .

وقد صنع الشيعة أحاديث كثيرة ، وحرفوا بعض الأحاديث حسب أهوائهم وفرقهم التي كانت تزداد يوما بعد يوم ، فوضعوا أحاديث في مناقب على رضى الله عنه ، وأخرى وضعوها في مثالب معاوية والأمويين ، وكتب الموضوعات مخلوطة بأكاذيبهم ، وسنذكر بعض ما وضعوا على سبيل المثال ، ونبين أثره في الأحزاب المعادية لهم .

وكان يهم الشيعة إثبات وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى بالخلافة من بعده ، فوضعوا كثيرا من الأحاديث في هذا ، منها : « وصي ، وموضع سرى ، وخليفة فى أهلى ، وخير من أخلف بعدى — على^(٥) » و « يا على ، أخصك بالنبوة ولا نبى بعدى^(٦) » . « وإن لسكل نبى وصيا ووارثا ، وإن وصي ووارثى على بن أبى طالب^(٨) » وحديث « لما أن عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم أراه الله من

(١) المتنى من منهاج الاعتدال ص ٢١ ، وانظر الكفاية ص ١٢٦ .

(٢) للتنقى من منهاج الاعتدال ص ٢١ ، وانظر الكفاية ص ١٢٦ .

(٣) المتنى من منهاج الاعتدال ص ٢٢ وانظر الجرح والتعديل ص ٢٨ قسم ١ ج ١ .

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب والآلء للصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ .

(٥) الفتاوى المجموعة فى الأحاديث للوضوعة ص ٣٦٩ .

(٦) الآلء للصنوعة ص ٣٢٣ ج ١ .

(٧) الآلء للصنوعة ص ٣ ج ١ .

العجائب في كل سماء ، فلما أصبح جعل يحدث الناس من عجائب ربه ، وكذبه من كذبه من أهل مكة ، وصدقه من صدقه ، فعند ذلك انقض نجم من السماء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي ، وطلبوا ذلك النجم فوجدوه في دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال أهل مكة : ضل محمد وغوى ، وهوى أهل بيته ، ومال إلى ابن عمه ، فعند ذلك نزلت هذه السورة « والنجم إذا هوى ... ١ (١) » وحديث « خُلقت أنا وعلي من نور ، وكنا على عيين العرش ... (٢) » واقتنوا في وضع الأحاديث كما يحبون ويهونون ، من ذلك « ستكون فتنة ، فإن أدركها أحد منكم فعليه بمحصلتين : كتاب الله وعلي بن أبي طالب ... وهو خليفتي من بعدي (٣) » ، و « من لم يقل علي خير الناس فقد كفر (٤) » ، و « النظر إلى علي عبادة (٥) » ، و « حب علي يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب (٦) » ، و « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، ونوح في فهمه ، وإبراهيم في حكمه ، ويحيى في زهده ، وموسى في بطشه — فلينظر إلى علي (٧) » ، و « من مات وفي قلبه بغض لعلي بن أبي طالب — فليمت يهوديا أو نصرانيا (٨) » ، وحديث « مثلي مثل شجرة ، أنا أصلها ، وعلي فرعها ، والحسن والحسين نمرتها ، والشيمة ورقها ، فأى شيء يخرج من الطيب إلا الطيب (٩) » ، وحديث : « من أحبني فليحب عليا ، ومن أخض عليا

(١) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩ وأظهره في المنتقى من منهاج السنة ص ٤٢٦ وفي رواية « فهو الوصي من بعدي » ، واختراع أسطورة الوصي كانت من عند عبد الله بن سبأ انظر هامش الصفحة ٣٠٧ من المنتقى من منهاج السنة .

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٤٥

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٤٢

(٥) المرجع السابق ص ٣٥٩

(٤) الفوائد المجموعة ص ٣٤٧

(٧) المرجع السابق ص ٣٦٧

(٦) المرجع السابق ص ٣٦٧

(٩) المرجع السابق ص ٣٧١

(٨) الفوائد المجموعة ص ٣٧٣

قد أنفضى ، ومن أنفضى قد أنفض الله ، ومن أنفض الله أدخله الله النار^(١) ، وحديث : « يا على ، إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك ولحبي شيعتك^(٢) » .

وإلى جانب هذا وضع الشيعة أخبارا بشعة تنال من أبي بكر وعمر وغيرها يزعمون فيها إساءة هؤلاء الصحابة إلى على رضى الله عنه وأهله ، وفي هذا يقول ابن أبي الحديد : (فأما الأمور الشيعة المستهجنة التى تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة . . . وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار . . . وجعل فى عنق على جبلا يقاد به فكاه لا أصل له عند أصحابنا ولا يشبهه أحد منهم ، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه ، وإنما هو شيء تفرد الشيعة بنقله^(٣)) .

لقد رأى بعض الرضاة من الأحزاب الأخرى أن هذه الأحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، فوضعوا مقابلها أحاديث أخرى ترفع من شأن الشيخين ومعاوية ، من ذلك الحديث الموضوع : « لما خرج بى إلى السماء قلت : اللهم اجعل الخليفة من بعدى على بن أبى طالب ، فأرتجت السموات ، وهتف بى الملائكة من كل جانب ، يا محمد اقرأ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، قد شاء الله أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق^(٤) » ، وما روى عن عهد الله بن جراد قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بفرس فركبه ثم قال : يركب هذا الفرس من يكون الخليفة بعدى ، فركبه أبو بكر^(٥) » .

(٢) للرجع السابق ص ٣٨٤

(١) الفوائد الموجهة ص ٣٨٣

(٣) شرح نهج البلاغة ص ١٥٨ - ١٥٩ ج ١ (٤) تنزيه الصريفة للرفوعة ص ٣٤٥ ج ١

(٥) المصدر السابق ص ٣٤٦ ج ١

وحديث « أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني كنت معك في الصف الأول ، فكبرت وكبرت فاستفتحت بالحمد فقرأتها ، فوسوس إلي شيء من الطهور فخرجت إلى باب المسجد ، فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : وراءك ، فالتفت ، فإذا أنا بقدر من ذهب مملوء ماء أبيض من الثلج وأعذب من الشهد ، وألين من الزبد ، عليه منديل أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله الصديق أبو بكر ، فأخذت المنديل فوضعت على منكمي ، وتوضأت للصلاة وأبغت الوضوء ، ورددت المنديل على القدر ، ولحقتك وأنت راكم الركعة الأولى فتمت صلاتي معك يا رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبش يا أبا بكر ، الذي وضأت للصلاة جبريل ، والذي منذلك ميكائيل ، والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل ^(١) »

وحديث « إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه ، فاسمعوا له تفلحوا ، وأطيعوه ترشدوا ^(٢) » ، وحديث « عرج بي إلى السماء ، فامررت بسماء إلا وجدت فيها إسمي مكتوباً بمحمد رسول الله ، وأبو بكر الصديق من خلفي ^(٣) » ، وحديث « إن الله في السماء يكره أن يخطأ أبو بكر الصديق ^(٤) » ، وحديث « لما أسرى بي رأيت في السماء خيلاً موقوفة مسرجة ملجمة . . . رؤوسها من الياقوت الأحمر . . . ذوات أجنحة ، فقلت : لمن هذه ؟ فقال جبريل : هذه لحجبي أبي بكر وعمر ، يزورون الله عليها يوم القيامة ^(٥) » ، وحديث عن

(١) الفوائد المجموعة ص ٣٣٠ ، وقد روى نحو هذا لعل بن أبي طالب وفيه : ذكر الدليل والمنديل ، والسكل كغيب موضوع . انظر الفوائد المجموعة ص ٣٣١

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٢

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٣٣

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٥

(٥) تنزيه العريضة المرفوعة ص ٣٤٧ ج ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٧

عبد الله بن أبي أوفى « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم متكئاً على على ، وإذا أبو بكر وعمر أقبلتا ، فقال : يا أبا الحسن أحبهما فبحبهما تدخل الجنة ^(١) » ، وحديث « إن في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحب أبو بكر وعمر ، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبو بكر وعمر ^(٢) » ، وحديث « ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ^(٣) » .

ووضع بعض الكذابين من حزب معاوية بعض الأحاديث ، منها « أن جماعة من بني هاشم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحول الكتابة من معاوية ، فنزل الوحي باختياره ^(٤) » ، ووضعوا أحاديث مطولة في كتابته آية الكرسي وغيرها ، ذكرتها كتب الموضوعات ، منها « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ القلم من يد علي فدفعه إلى معاوية ^(٥) » ، و « الأمانة عند الله ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية ^(٦) » . ، وحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم ناول معاوية سهماً وقال : خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة ^(٧) » ، وما روى عن ابن عباس أنه « جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بورقة آس أخضر مكتوب عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، حب معاوية فرض على عبادي ^(٨) » ،

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٣٤٧ ج ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٨

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٣٨ (٣) للرجع السابق ص ٣٤٢

(٤) الفوائد المجموعة ص ٤٠٣ وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٩ ج ٢ ذكره بطوله .

(٥) الفوائد المجموعة ص ٤٠٣

(٦) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٤ ونحوه في ص ٦ ج ٢

(٧) تنزيه الشريعة ص ٦ ج ٢

(٨) المرجع السابق ص ٢١ ج ٢

وحرف الشيعة حديث « اللهم ازرهمها في القعة رزقاً » اللهم وهبهم إلى النار دعا^(١) » في أنه قيل في معاوية وعمر بن العاص حين كانا يتغنيان ، والواقع أنهما لم يفعلا شيئاً من هذا ، إنما قيل هذا في معاوية بن رافع وعمر بن رفاع ابن التابوت ، فحرف الراوى الأسماء .

ووضع بعضُ المخرضين من أتباع حزب معاوية « . . . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ، إن في جهنم كلاباً زرق الأعين ، على أعرافها شعر كأمثال أذنان الخيل ، لو أذن الله تعالى لكل منها أن تبلع السموات السبع في لقمة واحدة لما ن ذلك عليه ، تسلط يوم القيامة على من لمن معاوية بن أبي سفيان »^(٢) .

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة ، كلها من صيغة الأحزاب المتناوئة ، التي حاولت أن تدعم بها موقفها ، وترفع من قدر أصحابها وزعمائها ، وكان يوسع هؤلاء الابتعاد عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتفين بما للصحابة من فضائل ثابتة ، ولكن الهوى ساق بعضهم إلى ذلك والجهل أعمى قلوب بعضهم .

وقد رأى بعض ذوى النيات الحسنة ما كان من هذه الأحزاب ، وما دار بينهم من طعون مختلفة تناولت الصحابة ، وانتقصتهم وكادت تقضى على فضائلهم ، فدفعهم حبهم للصحابة جميعاً إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم ، وترفع من شأنهم ، وتبين أنه لا فرق بين الخلفاء الأربعة ، وقد ظن هؤلاء — بحسن نيتهم — أنهم يفعلون خيراً ، لأنهم يعمنون بوضع هذه الأحاديث اللعن التي

(١) تحفة الشرعية ص ١٦ ج ٢ ، والقوائد المجموعة ص ٤٠٧ .

(٢) تحفة الشرعية للرفوعة ص ١٢ ج ٢ .

كان يتبادل له اتباع كل صحابي ، ويقطعون دابر الشتم والسباب فيجمعون أمر الأمة وكأنهم لم يعلموا أنهم يفتشون على رسول الله الكذب . ومن ذلك حديث : « إن الله أمرني أن أخذ أبا بكر والدا ، وعمر مشيراً ، وعثمان سنداً ، وأنت يا علي ظهيراً . أنتم أربعة ، قد أخذ الله لكم الميثاق في أم الكتاب ، لا يحكم إلا مؤمن نقي ، ولا يفضكم إلا منافق مسيء ، أنتم خلفاء نبوتي ، وعقد ذمتي ^(١) » حديث « ينادي مناد يوم القيامة من تحت العرش : أين أصحاب محمد ؟ فيؤتى بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ^(٢) » ، و « أبو بكر وزيرى ، والقائم فى أمتى من بعدى ، وعمر حبيبى ينطق على لسانى ، وأنا من عثمان وعثمان منى ، وعلى أخى وصاحب لوائى ^(٣) » ، و « أبو بكر أوزن أمتى وأرحمها ، وعمر بن الخطاب خير أمتى وأكملها ، وعثمان بن عفان أحي أمتى وأعدلها ، وعلى بن أبى طالب ولي أمتى وأوسسها ، وعبد الله بن مسعود أمين أمتى وأوصلها ، وأبو ذر أزهد أمتى وأرقها ، وأبو الدرداء أعدل أمتى وأرحمها ، ومعاوية بن أبى سفيان أحلم أمتى وأجودها ^(٤) » . ، و « من شتم الصديق فإنه زنديق ، ومن شتم عمر فأواه سقر ، ومن شتم عثمان فخصمه الرحمن ، ومن شتم علياً فخصمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ^(٥) » ومن حديث طويل : « .. ثم قال - رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا لعنة الله على مبغضى أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ^(٦) » .

وإذا رجعنا إلى كتب الموضوعات رأينا أن الشيعة قد أسرفوا فى الوضع أكثر من غيرهم .

(١ و ٢) الفوائد المجموعة ص ٣٨٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

(٤) الفوائد المجموعة ص ٤٠٩ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٣٩ .

(٦) المرجع السابق ص ٣٣٨ .

(ب) الخوارج وروضع الحديث :

لم نعلم في المراجع القريبة منا على ما يدل على وضع الخوارج للحديث ،
أو على اعتمادهم على ذلك لدعم موقفهم وإثبات دعواهم ، اللهم إلا ما ذكر عن
ابن لهيعة قال : سمعت شيخنا من الخوارج تاب ورجع ، وهو يقول : « إن هذه
الأحاديث دين ، فانظروا عن تأخذون دينكم ، فإننا كنا إذا هويتنا أسرا صيرناه
حديثا ^(١) » . وما رواه عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم قل : « قال لي رجل
من الخوارج : إن هذا الحديث دين ، فانظروا عن تأخذون دينكم ، إنا كنا إذا
هويتنا أسرا جعلناه في حديث ^(٢) » . وما رواه السيوطي : « روى عن شيخ
خارجي أنه قال : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عن تأخذون دينكم ، فإننا
كنا إذا هويتنا أسرا صيرناه حديثا ^(٣) » .

هذه أخبار ثلاثة بمعنى واحد ، وطرق مختلفة ، تدل على وضع الخوارج
للحديث . إلا أننا لم نجد دليلا يثبت عليهم هذا بين الأحاديث الموضوعة ، وربما
كان عدم كذبهم هذا لاعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر ، والكذب
من الكبائر .

وهناك أدلة كثيرة على أنهم أصدق من نقل الحديث ، ومن هذا ما قاله
ابن تيمية للرافضة في الرد عليهم : « ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم ، ومع هذا
فما تقدر أن يرميهم بالكذب ، لأننا جربناهم ، فوجدناهم يتحرون الصدق لهم

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب وانظر المدخل للمعالم ص ١٩

(٢) المحدث الفاصل بين الراوى والراوى ص ٨٣ : آ

(٣) الآلء للصنوعة ص ٢٤٨ - ٢

وعليهم^(١)»، كما قال أيضا: «ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث^(٢)». وقال أبو داود «ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثا من الخوارج^(٣)».

لا بد لنا بعد هذا من مخرج لما روى عنهم من الكذب، فالأخبار الأولى تدل على وقوع الوضع منهم، باعتراف أحد شيوخهم، إلا أننا لم نعرف هذا الشيخ إلا وقد روى الخطيب عن حماد بن سلمة^(٤) نحو حديث ابن لهيعة عن (شيخ من الرافضة)، في نفس الصفحة التي روى فيها خبر ابن لهيعة، فيمكن أن يحمل على أنه خطأ من الكاتب أو الراوى. وإذا فرضنا أنه خطأ، فما موقفنا من الخبرين الآخرين اللذين لا سبيل إلى تسرب الخطأ إليهما؟ إلا أن الأخبار التي تدل على صدقهم تعارض هذه الروايات، والبحث لا يؤدي إلى دليل يدين الخوارج بالوضع فلا بد من حل تلك الأخبار على وهم الراوى: أن «الشيخ» خارجي، وهو ليس كذلك. وأرجح من هذا أن الخبرين ضعيفان بلهالة «الشيخ».

وأما ما روى عن عبد الرحمن بن مهدي: أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث «إذا أتاكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنطقوه...» - فقد فند الدكتور مصطفى السباعي هذا القول، وبين أنه

(١) المتق من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٢

(٣) الكفاية ص ١٣٠

(٤) الجائع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب

من وضع الزنادقة^(١) . وهكذا ثبت أن الخوارج لم ينفسوا في حجة الوضع ،
لما عرف عنهم من الورع والتقوى .

٢ — أعمد الأسس (الزنادقة) :

لقد قوضت دولة الإسلام دولتي كسرى وقيصر ، وقضت على عروش
الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون الشعوب الخاضعة لهم ، يذيقونها العذاب
ويستنزفون خيراتها ، ويسترقون أبناءها ، وكان حول هؤلاء الحكام طبقة من
الخواص والمستغلين ، الذين يفيدون من وراء أولئك الملوك والأمراء ، وكانت
لهم وسائلهم الخاصة في استغلال رعاياهم ، فعندما انتشر الإسلام ، وخالط
قلوب الأمم المظلومة ، والشعوب المظلومة على أسرها من قبل رعاياها — تذوق
هؤلاء نعمة الحرية ، وشعروا بالكرامة الإنسانية ، في حين أفانت السلطة
من يد الحكام ، وخسروا مناصبهم ، وضاعت تلك المنافع التي كانوا ينالونها
باستغلال أبناء الشعب ، الذي عرف قيمة الحياة بعد أن حطم قيود الظلم باعتناق
الإسلام ، ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين ، فأضرموا الحقد والكيد
للإسلام والمسلمين ، ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف ، اقوة الدولة
الإسلامية ، فراحوا ينفرون المسلمين من العقيدة الجديدة ، بدس الأباطيل
والأكاذيب السخيفة على رسول الله ، قاصدين من وراء ذلك إبعاد الناس عن
الإسلام ، الذي حاولوا أن يصوره أشم الصور في عقائده وعباداته وأفكاره ،
وظهر هؤلاء بمظاهر مخنفة ، ونحت أسماء فرق متعددة ، إلا أنهم لم يوفقوا إلى

(١) انظر الدنة ومكانها في الفهرست الإسلامي ص ٩٧ .

ما أرادوا ، وبات محاولاتهم بالفشل أمام قوة الإسلام ، وسمو مقاصده ،
وصفاء عقيدته

وسنذكر أمثلة موجزة مما صنعوه ليضلوا أتباع الدين ، وينفروا منه من
محب اعتناقه ، فمن ذلك : ما رواه : « أن نفرا من اليهود أتوا الرسول صلى الله
عليه وسلم فقالوا من يحمل العرش ؟ فقال : تحمله الهوام بقرونها ، والحجرة التي
في السماء من عرقهم ، قالوا : نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) » .
قال أبو القاسم البلخي : « هذا والله تقول ، وقد أجمع المسلمون على أن الذين
يحملون العرش ملائكة ^(٢) » ، وحديث « عن النبي صلى الله عليه وسلم :
الحجرة التي في السماء عرق الأنبياء التي تحت العرش ^(٣) » . وقال أبو القاسم :
« وما يستجيز أن يروى مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من
لا يبالي بدينه ، ومتى قال المسلمون إن تحت العرش أنبياء ؟ وهل يجوز أن يكون
هذا إلا من دسيس الزنادقة ليقبحوا الإسلام ^(٤) » ؟ ، وحديث : « قيل :
يا رسول الله ، مم ربنا ؟ قال : من ماء مرور ، لا من أرض ولا سماء ، خلق
خيلا فأجراها ، فعرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق ^(٥) » . إنه لا يضع مثل هذه
الأحاديث مسلم ولا عاقل ! !

وإن هؤلاء لأشد ضررا وبلاء على الإسلام من غيرهم ، فقد كان منهم من
يفتحش في الكذب والافتراء ، ومن هؤلاء عبد الكريم بن أبي العوجاء ، الذي
اعترف قبل أن تضرب عنقه بوضعه الحديث ، فقال : « والله لقد وضعت فيكم

(١ و ٢ و ٣ و ٤) قبول الأخبار ص ١٤

(٥) تنبيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٤ ج ١

أربعة آلاف حديث ، أحرم فيها الحلال ، وأحل فيها الحرام^(١) » وقال المهدي : « أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعائة حديث ، فهي تجول في أيدي الناس^(٢) » وقال حماد بن زيد : « وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إثني عشر ألف حديث ، بثوها في الناس^(٣) » ، وفي رواية قال : « وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ألف حديث^(٤) » .

إلا أن هذه الأحاديث لم تخف على رجال هذا العلم ، فبينوها وتبعوها الكاذبين الذين وضعوها .

٣ — التفرفة العنصرية والتمصيب للقبيلة والبلد والاعمام :

اعتمد الأمويون في إدارة دولتهم وتسيير أمورها على العرب خاصة ، وتمصّب بعضهم للعرب والعربية ، وربما نظر بعض العرب إلى المسلمين من العناصر الأخرى نظرة لا توافق روح الإسلام ، حتى إن طبقة الموالي « وهم المسلمون من غير العرب » شعرت بهذه العنصرية ، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب وانهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا إليها في سبيل تحقيق ذلك ،^(٥)

(١) اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ . وعبد الكريم هذا خال بمن بن زائدة الشيباني المعروف وقد أمر بضرب هبة محمد بن سليمان بن علي أمير مكة وقال القهس في الميزان : أمير البصرة ، انظر توضيح الأفيكار ص ٧٥ ج ٢ ، وانظر ميزان الاعتدال ص ١٤٤ ج ٢ .

(٢) الكفاية ص ٤٣١ ، واللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ .

(٣) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٢ ، والكفاية ص ٤٣١ .

(٤) تدرب الراوي ص ١٨٦ وتوضيح الأفيكار ص ٧٥ ج ٢ . وذكر عنه أربعة آلاف ، انظر اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ ، وأعلن أنه خطأ مطبع أو خطأ من الراوي .

(٥) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٤٢ ج ١ .

وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعترار والفخار ، فحلمهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم ، وتبين فضائلهم ، ومن ذلك حديث : « إن كلام الذين حول العرش بالفارسية ، وإن الله إذا أوحى أمراً فيه لين أوحاه بالفارسية ، وإذا أوحى أمراً فيه شدة أوحاه بالعربية »^(١) فوضع مقابله حديث « أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخوزية ، وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية »^(٢) ، وحديث : « دعوني من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه »^(٣) .

ومناً وضع الأحاديث في فضائل بعض القبائل العربية يرجع - في غالب ظني - إلى إثارة تلك العصبية القبلية التي ظهرت في الدولة الأموية عقب وفاة يزيد بن معاوية^(٤) .

وكما وضعت أحاديث في الجنس والقبيلة واللغة وضعت أحاديث في تفضيل البلدان والأئمة ، وأظن أن انتقال مركز إدارة الدولة الإسلامية من بلد إلى آخر كان له أثر بعيد في دفع بعض المتعصبين إلى وضع الأحاديث في فضائل بلدانهم أو أئمتهم .

وعما لا شك فيه أن التعصب للأئمة لم يظهر إلا في القرن الثالث الهجري ، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين ، فوضعت أحاديث كثيرة في فضائل البلدان منها : « أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا : مكة ، والمدينة ،

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٦ ج ١

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٧ ج ١

(٣) المرجع السابق ص ٣١ ج ٢

(٤) اظفر تاريخ الإسلام لـ دكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٣٧ ج ١

وبيت المقدس ، ودمشق^(١) ... » وفي الأئمة حديث : « يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس ، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي^(٢) » ، و « سيأتي من بعدى رجل يقال له النعمان ابن ثابت ويكنى أبا حنيفة ، ليحيين دين الله وسنتي على يديه^(٣) » .

٤ — القصاصون :

ظهرت حلقات القصاصين والوعاظ في أواخر عهد الخلافة الراشدة^(٤) ، وكثرت هذه الحلقات فيما بعد في مختلف مساجد الأقطار الإسلامية^(٥) ، وكان بعض القصاص لا يهيمه إلا أن يجتمع الناس عليه ، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التي تستثير نفوسهم ، وتحرك عواطفهم ، وقد كان معظم البلاء من هذا الصنف الذي يكذب على رسول^(٦) الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى في ذلك إثماً ولا بهتاناً .

ومما يؤسف له أن هؤلاء القصاص — على تعاملهم وكذبهم على رسول الله

(١) تسمية الصربية المرفوعة من ٤٨ ج ٢

(٢ و ٣) المرجع السابق من ٣٠ ج ٢

(٤) استشار تميم الدار — صاحب مشهور — عمر رضى الله عنه ليقص على الناس فأبى عليه ولم يسمع له انظر من ١٨ : ب من تميز الرفوع من الموضوع . ومن نافع عن ابن عمر أنه لم يقص على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا على عهد أبي بكر ولا عمر ولا عثمان وإنما قص حين وقت الفتنة انظر كتاب العلم للمقدمي من ٥٢ ، وانظر ذكر أخبار أصبهان من ١٣٦ ج ١ ، طبع ليدن سنة ١٩٣١ .

(٥) انظر المخطوط للقريري من ٢٤٦ و ٢٥٦ ج ٢ حيث يذكر بعض القصاص والمساجد التي كانوا يقصون فيها ، وكذلك البيان والبيان من ٣٦٨ ج ١

(٦) انظر الآله للصنوعة من ٢٤٩ ج ٢

صلى الله عليه وسلم — قد وجدوا آذاناً تسمع لهم وتصدقهم وتدافع عنهم ، وكان هؤلاء من جهة العامة التي لا يهتمها البحث والتقصي .

ومما وضعه القصاص حديث : « إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت ، لا تروث ولا تبول ، ذوات أجنحة ، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا (١) .. »

وقد قاوم رجال الحديث القصاص ، وبينوا كذبهم ، فلقوا من أتباعهم الإنكار والأذى ، وفي ذلك حوادث طريفة منها : أن الشعبي أنكر على أحد القصاص في بلاد الشام ، فقامت عليه العامة تضربه ، ولم يدعه أتباع القاص حتى قال الشعبي برأى شيخهم نجاة بنفسه (٢) .

وكان رجال الحديث ينهون طلابهم وإخوانهم عن مجالسة القصاص ، من ذلك ما رواه عاصم قال : « كنا فأتى أبا عبد الرحمن السلمي ونحن غلة أبقاع ، فكان يقول لنا : لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص ، وإياكم وشقيقا ، قال وكان شقيق هذا يرى رأى الخوارج وليس بأبى وائل (٣) . »

وكان بعض هؤلاء القصاص شحاذين يضمنون من الحديث ما يرغب الناس في الإحسان إليهم والعطف عليهم ، من هذا ما روى ابن الجوزي باسناده إلى أبي جعفر بن محمد الطيالسي ، قال : « صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصاة ، فقام بين أيديهم قاص فقال : « حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالوا حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب ،

(١) تنزيه الدرر المرفوعة ص ٣٧٨ ج ٢

(٢) انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ١٦ : ب ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع .

(٣) صحيح مسلم بفتح النوى ص ١٠٠ ج ١

ورثه من مرجان ١١ وأخذ في قصة نحو من عشرين ورقة ، فجعل أحد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحد ، فقال له : حدثه بهذا ؟ فيقول : والله ما سمعت هذا إلا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات ، ثم قعد ينتظر بقيتها ، قال له يحيى بن معين بيده : تعال ، فجاء متوها لنوال ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ١ فقال : أنا يحيى بن معين ، وهذا أحمد ابن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحق ، ما تحققت هذا إلا الساعة ! كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ١١ فوضع أحمد كفه على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزئ بهما ^(١) ١١

وكان من هؤلاء القصاص المتكسبين من يحفظون أسانيد مشهورة ، يكررونها كاللبغاء ويلصقون بها ما يضمنون من الأحاديث العجيبة بكل وقاحة وصفاقة وجه ، كما فعل القاص المذكور مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وكما فعل قاص آخر حكى عنه أبو حاتم البستي جهله وكذبه ، قال أبو حاتم : دخلت مسجدا ، فقام بعد الصلاة شاب فقال : « حدثنا أبو خليفة : حدثنا أبو الوليد عن شعبة عن قتادة عن أنس ، وذكر حديثا ، قال أبو حاتم : « فلما فرغ دعوته ، قلت : رأيت أبا خليفة ؟ قال : لا ، قلت : كيف تروى عنه ولم تره ؟ فقال : إن المناقشة معنا من قلة المروءة ! أنا أحفظ هذا الإسناد ،

(١) الباعث الحديث من ٩٣ - ٩٤ ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع من ١٤٩

١٤٩ - ١٥٠ : ب ، وتغيير المرفوع من الموضوع من ١٦ : ب ، وتوضيح الأفكار من ٧٦ - ٧٧ : ب

فمسلما سمعت حديثاً ضمنه إلى هذا الإسناد!!^(١)» .

وقد بين أيوب السخيتاني أثر القصاص في إفساد الحديث فقال : ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال أيضاً : ما أمارت العلم إلا القصاص^(٢) .
والأحاديث التي وضعها القصاص في القرن الأول قليلة ، ازدادت فيما بعد ، وقد كشف عنها رجال هذا العلم وبينوا واضعها وتبعوم حتى تميز بالصحيح من الباطل .

٥ - الرغبة في الخير مع الجهل بالمعنى :

بينت فيما تقدم أن بعض ما حدث من الفتن ، وما ترتب عليه من ظهور الفرق والأحزاب السياسية والدينية ، قد دفع هذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم ، ورفع شأن زعمائهم ، والحط من قيمة خصومهم ، وقد ظهر لمر هذا بعض الصالحين والزهاد والعباد ، الذين ساءم هذا الإنشقاق وتفرقة الأمة ، فوضعوا الأحاديث يقرّبون فيها بين المتخاصمين ويرفعون قدر زعمائهم جميعاً ، ومع الزمن ساء هؤلاء أن يروا إنشغال الناس بالدنيا عن الآخرة ، فوضعوا أحاديث في الترهيب والترغيب حسبة لله^(٣) ، وقد حملهم جهلهم بالدين

(١) الباعث الحديث ص ٩٣ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٧ : ب .

(٣) ومن هنا ما برويه علي بن الحسين أن جرير بن عبد الواحد روى أن عبد الله بن السور كان يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يضع إلا ما فيه أدب أو زهد ، فيقال له في ذلك ، فيقول : إن فيه أجراً . انظر ص ٧ - ٨ قبول الأخبار . وعبد الله بن السور هو نفسه أبو جعفر المدائني الهاشمي الذي أرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً =

على استغاة ما سولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس في صالح الأعمال ، وكان هذه البروة من الأحاديث النبوية التي لا يدرك البيان وصفها — لم نشف صدورهم ، ولم ترو ظلمهم ، فراحوا يضعون الأكاذيب على رسول الله ، وإذا ما ذكروا بقوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » قالوا : نحن ما كذبتنا عليه ، إنما كذبتنا له ^(١) . ومن الغريب والمؤسف أن صلاحهم خلع العامة ، فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم ، فكان خطرهم شديداً على الدين ^(٢) ، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم ، لما عرفوا به من الصلاح والورع والزهد ، الذي لا يتصور معه العاصي إقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب ، وفي هذا يروى محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قوله : « لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث ^(٣) . » وقال أبو عاصم النبيل : « ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث ^(٤) » ، وفي رواية عن يحيى بن سعيد القطان : « ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد ^(٥) » .

ومما وضعه الصالحون أحاديث فضائل السور ، وفي هذا يروى الحاكم بسنده

== حقا ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمله الناس في الدماء ونحوه . انظر أيضا قبول الأخبار من ١٥ وعبد الله بن المسور هذا هو الذي يروى عنه خالد بن أبي كريمة انظر ترجمته في ميزان الإعتدال من ٧٨ ج ٢ ترجمة (٥٦٣) وذكر الإمام مسلم هذا في صحيحه : انظر مسلم هجر النبوي من ١٠٧ ج ١ .

(١) انظر اختصار علوم الحديث من ٨٦

(٢) انظر تقريب الراوى من ١٨٤

(٣) صحيح مسلم هجر النبوي من ٩٤ ج ١ ، ونحوه في مقدمة التمهيد من ١٤ : آ ، وفي

الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع من ١٥٩ : آ

(٤) الحديث الفاسل من ٨٣ : آ

(٥) الآلية للصنوعة من ٢٤٨ ج ٢

إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم : « من أين لك ،
عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة
هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ،
ومغازي ابن إسحاق ، فوضعت هذا الحديث حصة ^(١) » ، وقال ابن مهدي
لميسرة بن عبد ربه : « من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟
قال : وضعتها أرغب الناس فيها ^(٢) » ، وقال أبو عبد الله النهاوندي لعلام خليل
— هو أحمد بن محمد بن غالب الباهلي — : « ما هذه الرقائق التي تحدث بها ؟
قال : « وضعتها ليرقق بها قلوب العامة ^(٣) » ، وقد كان مشهوراً بزهد حتى
عرف زاهد بغداد ، وقد غلقت أسواق بغداد لموته ^(٤) ، وحل في تابوت إلى
البصرة ، وكان يحفظ علماً كثيراً ، ومع هذا لم يحل عنه العلماء وبينوا أمره
وأمر غيره .

٦ — الخرافات المذهبية والكنهية :

وكما دعم أتباع الأحزاب السياسية آراءهم وأحزابهم بوضع الأحاديث ،
وضع أتباع المذاهب الفقهية والكلامية أحاديث لتأييد مذاهبهم ؛ من هذا
ما روى أنه قيل لـ محمد بن عكاشة السكرماني : إن قوما يرفعون أيديهم في
الركوع وفي الرفع منه ، فقال : حدثنا المسيب بن واضح عن أنس مرفوعاً

(١ و ٥) تدريب الراوي ص ١٨٤ ، والآله المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

(٢) ميزان الإعتدال ص ٦٦ - ٦٧ ج ١ ، وتدريب الراوي ص ١٨٥ والآله المصنوعة

ص ٢٤٨ ج ٢ .

(٤) كانت وفاته في رجب من سنة (٢٧٥ هـ) . انظر ميزان الإعتدال ص ٦٧ ج ١

« من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له ^(١) » ، وحديث : « كل ما في السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن ، وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود ، وسيجيء أقوام من أمتي يقولون القرآن مخلوق ، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم ، وطلعت امرأته من ساعته ، لأنه لا ينبغي للمؤمن أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقتة بالقول ^(٢) » . وعلائم الوضع ظاهرة جليلة في تعليلاته وركاكة لفظه .

ومن هذا ما رواه زهير بن معاوية قال أخبرنا محرز أبو رجاء - وكان يرى رأى القدر فتاب منه - فقال : لا ترووا عن أحد من أهل القدر شيئاً ، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث ندخل بها الناس في القدر تحتسب بها ، ولقد أدخلت أربعة آلاف من الناس . قال زهير : فقلت له : كيف تصنع بمن أدخلتهم ؟ قال : ها أنا ذا أخرجهم الأول فالأول ^(٣) .

٧ - التقرب من الخطيئة وأسباب أخرى :

لم يذكر أحد - فيما اطلمت - أن أحداً من رجال الحديث أو غيرهم تقرب من خلفاء بني أمية وأمرائهم بوضع ما يرضى مبولهم من الحديث ، اللهم إلا ما اتهم به الشيعة بعض الصحابة والتابعين في ذلك ، وقد رددنا هذا في الفصل

(١) تدريب الراوي ص ١٨١ ، والباعث الحديث ص ٩٠ وقال فيه عن الحاكم : فهذا مع كونه كتاباً من أنجس الكتب ، فإن الرواية عن الزهري بهذا السند بالغة مبلغ القطع بانبات الرفع عند الركوع وعند الاحتفال ، وهي في الأصل وسائر كتب الحديث أهم من لسان الميزان ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ج ٥ .

(٢) نزهة القلوب المرفوعة ص ١٣٤ ج ١ .

(٣) الجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ وفيه (هوذا) وما أنبت أصوب .

الثاني من «أبي هريرة»، وطبيعي أن يتقرب بعض المرائين إلى الطبقة الحاكمة بوضع ما يرضيهم من الحديث، وقد حدث هذا فعلا في عهد العباسيين، فقد أسند الحاكم «عن هارون بن أبي عبيد الله عن أبيه قال: قال المهدي ألا ترى ما يقول لي مقاتل؟ قال: إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس، قلت لا حاجة لي فيها»^(١).

وقد كذب غياث بن إبراهيم للمهدي في حديث «لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر»، فزاد فيه أو جناح حين رآه يلعب بالحمام، فتركها المهدي بعد ذلك، وأمر بذبحها، بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم، وقال فيه بعد أن ولى: «أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٢). وإن هذا الإنكار من المهدي لا يكفي، بل كان عليه ألا يعطيه عشرة آلاف درهم من أموال المسلمين، لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يمنعه من هذا ويزجره ويحبسه إذا لم يشأ أن يقتله^(٣).

وهناك أسباب أخرى بينها رجال الحديث، وضربوا لها الأمثال، مثال ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمي، قال: كنت عند سعد ابن طريف، فجاء ابنه من الكتاب يبكي، فقال: مالك؟ قال: ضربني المعلم. قال: لأخزينهم اليوم، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعا: مملو صبيانكم

(١) تدريب الراوي ص ١٨٧ والباث الحديث ص ٩٤ وأبو عبيد الله هو وزير للمهدي.

(٢) للدخل ص ٢٠ - ٢١ والباث الحديث ص ٩٤، وتدريب الراوي ص ١٨٧، وتوضيح الأنسكار ص ٧٦ - ٧٧.

(٣) راجع السنة ومكانتها في التفرع الإسلامي ص ١٠٤ فقد كتب أستاذنا الدكتور السباعي كلمة طيبة جريئة لما كان اتساع الخلفاء والأمراء مع الوضاعين من أثر سيء في الدين.

شراركم ، ألقنهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين^(١) » . وحديث : « خير تجارتكم البر ، وخير أعمالكم الخرز^(٢) » ، و « من سيادة المراء خفة عارضيه^(٣) » ، و « الناس أكفاء إلا حائك أو حجام^(٤) » .

ومن المواضيع من جعل الأسانيد المشهورة للحكم القديمة ، وللأقوال المعسولة ، ومنهم من وضع الحديث للإغراب ليُقصدوا بالطلب لما عندهم من غريب الحديث ، وهؤلاء من جهال أهل الحديث ، بل من المتطفلين على الحديث النبوي وعلمائه ، ومنهم من وضع الأحاديث في أصناف معينة من المآكل لترويجها ، أو في مهن خاصة للرفع من قدرها .. وفي غير هذا وذاك ، وقد بين العلماء جميع هذا ، ووضعوا قواعد علمية دقيقة لحفظ الحديث .

(١) انظر تدریب الراوی ص ١٨٠ - ١٨١ ، والباعث للحديث ص ٨٩ حيث قال : وسعد بن طارق هذا ، قال فيه ابن مین : « لا یصل لأحد أن یروی عنه » وقال ابن حبان : « كان یضع الحديث » وروای القصة عنه سیف بن عمر ، قال فيه الحاکم : اتهم بالزندقة وهو فی الروایة ساقط » أ . هـ .

(٢ و ٣ و ٤) قبول الأخبار ص ٢١ وانظر فی المدخل ص ٢٤ بعض ما وضعه السکناویون فی الشهوات والذوات .

الفصل الثاني

جهود الصحابة التابعين أنباغهم في مقاومة الوضع

كاد الوضاهون يسبون إلى الدين لساء خطيرة ، ويشوهون بكذبهم وجه الإسلام ، ويدخلون في تعاليمه ما ليس منه ، لولا عناية الله عز وجل الذي حفظ الإسلام من التحريف والتبديل ، وصان كلام نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون مطية لأهل الأهواء ، وقبض للأمة رجالاً أمناء مخلصين ، قاوموا الوضاهين وتبعوهم ، وماروا الباطل من الصحيح ، فلو لا الجهود التي بذلها الصحابة والتابعون وعلماء الأمة من بعدهم لاشتبه على كثير من الناس بعض أمور دينهم ، لكثرة ما اختلقه الكذبة الوضاهون ، ونسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً . وإن المنصف لا يسعه إلا أن يقف أجلاً واكباراً لجهود علماء الأمة التي بذلوها — منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة — في تنقيح السنة الشريفة وتطهيرها مما أدخلته فيها يد الوضع ، وإن المرء ليزداد إعجاباً بتلك القواعد العلمية الدقيقة التي طبقها العلماء ، وبذلك المنهج الخاص الذي اتبعوه في سبيل الحفاظ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولندرك قيمة مجتهدهم ودراسهم وصبرهم وتبهم إزاء تلك الكثرة من الأحاديث الموضوعة ، التي يصعب استقصاؤها وحصرها — يكفيها لهذا أن نعلم أنه قد وضع أعداء الإسلام بشهادة حماد بن زيد أربعة عشر ألف حديث ، وأن عبد الكريم بن أبي العوجاء اعترف بوضع أربعة آلاف حديث ، وأقر محرز أبو رجاء القدرى النائب بأنهم وضعوا أحاديث في القدر أدخلت أربعة آلاف

إنسان فيه ، وغير هؤلاء كثيرون ، فكانت مهمة العلماء شاقة لما يحف بها من الحذر ، وما يترتب عليها من الآثار الجليطة في الدين والدنيا ، وبفضل الله ورحمته ذلت تلك الصعوبات على أيدي جهابذة الأمة ، الذين شهد بعلمهم وفصلهم وحسن منهجهم ودقة قواعدهم علماء المشرق والمغرب ، وحفظت السنة من عبث العابثين وتأويل المخرضين ، وتحريف الجاهلين المضلين ، وصدق ابن المبارك حين قيل له : هذه الأحاديث الموضوعة ١١ ؟ فقال تعيش لها الجهابذة « إنا نحن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكَاْفِظُونَ ^(١) » .

ونستعرض الآن ما بذله علماء الأمة في سبيل حفظ الحديث الشريف ، فقد بحثوا في كل ما يتعلق بالحديث النبوي رواية ودراية ، وخطوا خطوات جليطة كفلت سلامة السنة من العبث ، ونحن نلخصها فيما يلي :

أولا - التزام الإسناد :

لم يكن المسلمون في صدر الإسلام - منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فتنة عثمان - يكذب بعضهم بعضا ، بل كانت الثقة تملأ صدورهم ، والإيمان يعمر قلوبهم ، حتى إذا ما وقعت الفتنة ، وتكونت الفرق والأحزاب ، وبدأ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُتخذ مطية لأهل الأهواء - وقف الصحابة والتابعون من هذه الظاهرة وقفة قوية للحفاظ على الحديث الشريف ، وأصبحوا يشددون في طلب الإسناد من الرواة ، والتمزموه في الحديث ، لأن السند للخبر كالنسب للمرء ، ويخبرنا الإمام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا اسموا

(١) تدريب الراوي ص ١٨٤ والكفاية ص ٣٧ ، والجرح والتعديل ص ١٨ ج ١ وروى عن عبد الرحمن بن مهدي نحو هذا في توضيح الافكار ص ٧٩ ج ٢ والآية ٩ : الحجر .

لها رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ^(١) .

وهذا لا يدل على أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يسندون الأحاديث قبل الفتنة بل كان بعضهم يسند ما يروى تارة ولا يسنده أخرى ، لأنهم كانوا على جانب كبير من الصدق والأمانة والاخلاص ، وهناك أمثلة واضحة تبين اسناد الصحابة للروايات قبل الفتنة ، من هذا ما حدث به على رضى الله عنه البراء بن عازب « أن فاطمة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تحمل ، فحلت ونضحت البيت بنضوح ^(٢) » . وكان أبو أيوب الأنصاري يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام ^(٣) . وقد حدث الصحابة بعضهم عن بعض .

وخلاصة القول أن المسلمين قبل الفتنة لم يلتزموا الإسناد دائماً لما كانوا عليه من الصدق والأمانة ، علماً بأن الاسناد لم يكن طارئاً وجديداً على العرب بعد الإسلام ، بل عرفوه قبل الإسلام ، وكانوا أحياناً يسندون القصص والاشعار في الجاهلية ^(٤) . وإنما التزم هذا التثبت في الاسناد بعد الفتنة في عهد صفار الصحابة وكبار التابعين ، وفي هذا يروى الامام مسلم بسنده المتصل عن

(١) صحيح مسلم بفتح النون ص ٨٤ ج ١ وصنن الفاري ص ١١٢ ج ١ ومحمد بن سيرين تابعي جليل ولد سنة ٣٣ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ انظر ترجمته في الباب الخامس من هذه الرسالة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨٢ : ب

(٣) انظر البداية والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢

(٤) وقد ينتهي الإسناد إلى الشاعر أو إلى راويه ، ولم يكن للزام الإسناد للتصل دائماً بل من النادر ، أما الإسناد المرسل فهو أكثر و « يكاد يكون ملتزماً في رواية الأدب التزاماً لا إخلال فيه » انظر : مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٨ .

مجاهد قال : « جاء بشير العدوى ^(١) إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس ، مالي لا أراك تسمع لحديثي ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بأذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف ^(٢) » . وفي رواية عن طاوس « فجعل - بشير - يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، ثم حدثه ، فقال له : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، فقال له : ما أدرى أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يكن يُكذّب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه ^(٣) » ، وكان بعدهم التابعون يسألون عن الإسناد ويلتزمونه ، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر عن الشعبي عن الربيع بن خثيم قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات كن له كعتق رقاب أو رقبة : قال الشعبي فقلت للربيع بن خثيم : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عمرو بن ميمون الأودي فلقيت عمرو بن ميمون ، فقلت : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عبد الرحمن بن أبي ليلى . فلقيت ابن أبي ليلى فقلت : من

(١) هو بشير - مضمراً - ابن كعب بن أبي الحبر العدوى ، أبو أيوب البصري ثقة ، مضمراً من الطبقة الثانية ، وفاته قبل سنة مائة من الهجرة . انظر تقريب التهذيب ص ١٠٤ ج ١

(٢) صحيح مسلم يشرح النووي ص ٨١ ج ١

(٣) صحيح مسلم يشرح النووي ص ٨٠ ج ١

حدثك؟ قال: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) قال يحيى بن سعيد: « وهذا أول ما قُتس عن الإسناد^(٢) » .

وقال أبو العالية: « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإرضينا حتى رحلنا إليهم ، فسمعناها من أفواههم^(٣) » وكان التابعون وأتباعهم يتواصون بطاب الإسناد ، قال هشام بن عروة: « إذا حدثك رجل بحديث فقل عن هذا^(٤) ؟ » ، وكان الزهري إذا حدث أتى بالإسناد ويقول: « لا يصلح أن يُرْفَى السطحُ إلا بدرجة^(٥) » ، وقال الأوزاعي: « ما ذهب العلم إلا ذهاب الإسناد^(٦) » ، وقال سفيان الثوري: « الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شيء يقاتل^(٧) ؟ » ، ويقول عبد الله ابن المبارك: الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء^(٨) ، وعنه أنه قال: « بيننا وبين القوم القوائم يعنى الإسناد^(٩) » .

وقد اتقن التابعون الإسناد وبرزوا فيه كما برزوا في غيره من علوم الحديث وفي هذا يقول أبو داود الطيالسي: « وجدنا الحديث عند أربعة: الزهري ، وقتادة ، وأبي إسحاق ، والأعمش ، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف ، والزهري

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٤ : ب ، ونظر المحدث التفاصيل ص ٢٠ : آ

(٢) المحدث التفاصيل ص ٢٠ : آ

(٣) مقدمة التمهيد ص ١٥ : آ ونحوه في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨ : ب

(٤) الجرح والتمديد ص ٣٤ : ١

(٥) للرجع السابق ص ١٦ : ١

(٦) مقدمة التمهيد ص ١٥ : ب

(٧) شرف أصحاب الحديث ص ٨٠ : ب مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم

(ب — ٢٣٧٣٦) وعن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدهشق ص ٣٩ : ١ .

(٨) صحيح مسلم بفتح الزوى ص ٨٧ : ١

(٩) المرجع السابق ص ٨٨ : ١

أعلمهم بالإسناد ، وأبو اسحاق أعلمهم بحديث علي وابن مسعود ، وكان عند الأعمش من كل هذا . (١) » .

وأصبح الإسناد أمراً بديهياً مسلماً به عند العامة والخاصة ، ويظهر هذا فيما يرويه الأصبى فيقول : « حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابي فقال : كيف أصبح الشيخ رحمه الله ؟ فقال سفيان : بخير نحمد الله ، قال : مات قول في امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فقال : تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت ، فقال : هل من قدوة ؟ قال : نعم ، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت ، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف ، قال هل من بلاغ عنها ؟ قال نعم حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك . قال الأعرابي : لقد استسمنت القدرة ، وأحسنت البلاغ ، والله لك بالرشاد (٢) » ، وقال المدائني سمع أعرابي رجلاً يحدث بأحاديث غير مسندة فقال : لِمَ ترسلها بلا أزمة ولا خطم (٣) ؟ » .

ولا يظن فيما قررناه من التزام التابعين للإسناد المتصل ماروي عن بعض التابعين من المراسيل ، لأن هناك روايات تؤكد أن التابعي كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإسناد ، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر بإسناده المتصل عن مالك بن أنس قال : « كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد بن المنكدر فيقول الزهري : قال ابن عمر كذا وكذا ، فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له : الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به ؟ قال : ابنه سالم . وقال حبيب بن الشهيد : قال لي محمد بن سيرين : سل الحسن عن سمع حديث العقيقة ، فسأته ، فقال :

(١) تذكرة الحفاظ ص ١٠٨ ج ١

(٢) الكفاية ص ٤٠٤

(٣) الجلام لأخلاق الراوي وآداب السامع ، نسخة الإسكندرية ص ١٦٤ : ب .

من ممرة . قال أبو عمر (ابن عبد البر) : فهكذا مراسيل الثقات ، إذا سئلوا أحادوا على الثقات . وقال سليمان الأعمش : قلت لإبراهيم : إذا حدثني حديثاً فأسنده ، قل : إذا قلت : عن عبد الله يعني ابن مسعود فأعلم أنه عن غير واحد (عنه) ، وإذا سميت أحداً فهو الذي سميت ^(١) .

ومن هنا يتبين لنا أن أكثر من أرسلوا الحديث كانوا على جانب كبير من العلم ، وكانوا يعرفون السند ، وإنما لم يذكره اختصاراً ، ويظهر لنا هذا فيما روى عن حماد بن سلمة قال : « كنا ، أنى قتادة فيقول : بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغنا عن عمر ، وبلغنا عن علي ، ولا يكاد بسند ، فلما قدم حماد بن أبي سليمان البصرة جعل يقول : حدثنا إبراهيم وفلان وفلان ، فبالغ قتادة ذلك ، فجعل يقول : سألت مطرفاً . وسألت سعيد بن المسيب ، وحدثت أس بن مالك ، فأخبر بالإسناد ^(٢) » ، ولم يكونوا يسألونه عن السند لثقة القوم به ، ويدل على هذا ما رواه ابن سعد عن معمر قال : « كنا نجالس قتادة ونحن أحداث ، فنسأل عن السند ، فيقول مشيخة حوله : مه ، إن أبا الخطاب سند ، فيكسرونا عن ذلك ^(٣) » .

ويقول شعبة : « كنت أجالس قتادة ، فيذكر الشيء فأقول : كيف إسناده ؟ فيقول المشيخة الذين حوله . إن قتادة سند ، فأسكت ، فسكت أكثر بحجاسته ، فربما ذكر الشيء فأذكره ، فمرف مكان ، ثم كان بعد بسند لي ^(٤) » .

وهكذا نرى أن الإسناد المتصل كان قد أخذ نصيبه من العناية والاهتمام

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٠ ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي .

(٢) طبقات ابن سعد ص ٧ قدم ٢ ج ٢ .

(٣) للمرجع السابق ص ٧ قدم ٢ ج ٢ .

(٤) مقدمة المرح والتصديق ص ١٦٦ .

في عهد التابعين حتى أصبح من واجب الحديث أن يبين نسب ما يروى ،
وقد شبه بعضهم الحديث من غير إسناد بالبيت بلا سقف ولا دعائم ، ونظموه
في قولهم :

والعلم إن فاتته إسناده مسنده كالبيت ليس له سقف ولا طنب^(١)
وكان الحديث بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه ، ويطمئن إلى صحة
ما ينقل عند ما ينتهي سنده المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

ثانياً: مضاعفة النشاط العلمي والتثبت في الحديث :

من نعم الله عز وجل على المسلمين أن انبث الصحابة في الأمصار والبلدان ،
وكتب بعضهم طول العمر ليساهموا في حفظ السنة الحميدة إثر الفتنة ، وبعد
ظهور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان طلاب العلم يسمعون

(١) الحديث الفاصل ص ٢٢ : آ

(٢) وثبت هنا كلمة للدكتور صادم الدين الأسد عن مراد التزام الإسناد المتصل في رواية
الحديث : يقول : « ويبدو لنا أن مراد التزام الإسناد المتصل في رواية الحديث إلى أمرين : أمر
داخلي ، وآخر خارجي ، أما الداخلي فثبت من نفس الراوي ، ومصدره شعوره بالتعرج الديني ، وذلك
أنه ينقل كلاماً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال في حديثه المشهور :
« من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وفي الإسناد المتصل ما يجعل الحديث يطمئن إلى أن
غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه ، ثم التابعين والصحابة — يشتركون معه في تحمل تبعه حسناً
الحديث ونقله ، وأنه لا يستقل وحده بحمل هذا العبء ، وأن تبعه لا تصدق النقل الأمين لما
سمعه من شيخ ثقة ثبت .

وأما الأمر الخارجي ، فترجمه إلى ساهمي الحديث من الحديث ، وذلك أن الحديث يتضمن جزءاً
كبيراً من السنة ، أو هو السنة كلها ، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التفرع الإسلامي ،
بل إنه هو المصدر الثاني الذي يلي في القيمة كتاب الله ، فذلك كان من التدقيق والتحقيق ، وما
يمت الطمأنينة في نفوس السامعين ، وروحهم بالثقة في حديث الحديث — أن يصل بين
عصره وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين ، كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله
حتى يصل الإسناد إلى الصحابة فالرسول . مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

من الصحابة ، وإذا ما سمعوا من غيرهم أسرعوا إلى من عندهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليتأكدوا عما سمعوا ، فكانوا يبينون لهم الفث من السمين ، من هذا ما فعل ابن عباس مع ابن أبي مليكة ، قال ابن أبي مليكة : « كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتاباً ويخفي عني ^(١) . فقال : ولد ناصح أنا أختار له الأمور إختياراً وأخفي عنه . قال : فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول والله ما قضى بهذا على إلا أن يكون ضل ^(٢) » .

وكان كثير من طلاب العلم يرحلون إلى الصحابة ، يقطعون القبايا والقفار ، للتأكد من حديث سمعوه من تابعي عندهم ، وهذا معنى قول أبي العالية السابق : كننا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم . بل إن الصحابة رحل بعضهم إلى بعض في سبيل هذا ، فقد ارتحل أبو أيوب إلى عقبة بن عامر في مصر ^(٣) ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في حديث ^(٤) ، وغير هؤلاء ممن سبق ذكرهم .

وأما التابعون وأتباعهم فقد كانوا على نطاق واسع من التنقل والارتحال في سبيل تحمل الحديث عن الثقات ومذاكرة الأحاديث ، فهناك من ارتحل

(١) يخفي عن أي يكتم عن أشياء ولا يكتبها . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٢ ج ١ ، وامله كان يخفي عنه ما لا يثق بصحته .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٢ ج ١ .

(٣) انظر جامع بيان العلم ص ٩٣ ج ١ .

(٤) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨ : ب ، وجامع بيان العلم ص ٩٣ .

ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ١٤٩ - ١٥٠ ج ٥ .

إلى أبي الدرداء الحديث عنده في دمشق^(١) ، كما رحل ابن شهاب إلى الشام إلى عطاء بن يزيد وابن محيرز وابن حيوة ، ورحل يحيى بن أبي كثير إلى المدينة للقاء من بها من أولاد الصعابة ، ورحل محمد بن سيرين إلى الكوفة لباقي عبيدة وعلقمة وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ورحل الأوزاعي إلى يحيى بن أبي كثير بالإسامة ودخل البصرة ، كما رحل سفيان الثوري إلى ابن^(٢) وقال سعيد بن المسيب : « إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد^(٣) » وعن الزهري عن ابن المسيب « إن كنت لأسير ثلاثاً في الحديث الواحد^(٤) » .

وقد كان مسروق كثير الرحلة في طلب الحديث ومذاكرته^(٥) ، وحدث الشعبي بحديث ثم قال لسامعه : « خذها بغير شيء ، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة^(٦) » .

وكثيراً ما كان التابعون وأتباعهم يتذاكرون الحديث ، فيأخذون ما عرفوا ويتركون ما أنكروا ، قال لإمام الأوزاعي « كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف ، على الصيارفة فما عرفوا منه أخذنا ، وما تركوا تركناه^(٧) » وكانوا دائماً يرجعون إلى من يثقون به ، فإذا ما اختلف سعيد وأبو

(١) انظر الجرح والتعديل ص ١٢ ج ١

(٢) انظر الحديث الفاصل ص ٣١ : آ

(٣) جامع بيان العلم ص ٩٤ ج ١ ، وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ ج ١ ونحوه في الجامع لأخلاق

الراوى ص ١٦٩ : آ .

(٤) الحديث الفاصل ص ٢٨ : ب

(٥) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٢ ونحوه في ٩٣ و ٩٤ ج ١ .

(٧) الجرح والتعديل ص ٢١ ج ١ والحديث الفاصل ص ٦٤ : آ

هلال وشعبة في قنادة رجعوا إلى هشام الدستوائي^(١)، وإذا اختلفت شعبة وسفيان الثوري قالوا: « اذهبنا بنا إلى الميزان مسعر^(٢) ». وعن الأعمش قال: « كان إبراهيم النخعي صيرفيا في الحديث، وكنت أسمع من الرجال فأجعل طريق عليه، فأعرض عليه ما سمعت، وكنت آتي زيد بن وهب وضرباه في الحديث في الشهر مرة والمرة، وكان الذي لا أكاد أغبه إبراهيم النخعي^(٣) ».

وكان أئمة الحديث في هذا العصر على جانب عظيم من الوهم والاطلاع، فقد كانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع حتى لا يختلط عليهم الحديث، وليبرزوا الحديث من الطيب، وفي هذا يقول الإمام سفيان الثوري: « إني لأروى الحديث على ثلاثة أوجه، أسمع الحديث من الرجل أنخذة ديننا، وأسمع من الرجل أقف حديثه، وأسمع من الرجل لا أعبا بحديثه وأحب معرفته^(٤) » ويزيد لنا أبو بكر بن الأثرم « أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعا في زاوية، وهو يكتب صحيفة معمر بن أبان عن أنس، فإذا طلع عليه إنسان

(١) انظر المحدث القائل ص ٧٦: آ وسعيد أرجح أنه ابن أبي صدقة البصري من الطبقة السادسة، وأبو هلال هو محمد بن سليم الرازي بصرى من الطبقة السادسة مات سنة ١٦٧ هـ، وشعبة هو ابن الحجاج الإمام المشهور من الطبقة السابعة توفي سنة ١٦٠ هـ، وهشام الدستوائي هو ابن عبد الله حافظ مشهور من كبار الطبقة السابعة، توفي سنة ١٥٤ هـ وله (٧٨) سنة. انظر تفصيل تراجعهم في تهذيب التهذيب.

(٢) المحدث القائل ص ٧٥ ب وسفيان هو ابن سعيد الثوري أبو عبد الله الكوفي أمير المؤمنين في الحديث، إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة، كان آية في الحفظ توفي سنة (١٦١ هـ) وله أربع وستون سنة. تهذيب التهذيب ص ١١١ - ١١٥ ج ٤ وانظر طبقات ابن سعد ص ٢٥٧ ج ٦، ومسعر هو ابن كندام الهلالي العامري، أبو سلة الكوفي، كان آية في الحفظ ثقة من الطبقة السابعة توفي سنة (١٥٢ هـ). تهذيب التهذيب ١١٣ ج ١.

(٣) الجرح والتعديل ص ١٧ ج ١، انظر ترجمة إبراهيم النخعي في الباب الخامس من هذا الكتاب.

(٤) الكفاية ص ٤٠٢، وانظر الكامل لابن عدي ص ٢ ج ١ وعنه إني لأكت الحديث على ثلاثة وجوه... انظر الجامع لأخلاق الراوي ص ١٥٧ ب.

كنتمه ، فقال له أحمد بن حنبل : نكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ، فلو قل لك قائل : إنك تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه ؟ فقال : رحك الله يا أبا عبد الله ، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها ، وأعلم أنها موضوعة حتى لا ينجى بهدم إنسان فيجعل بدل أبان ثابتاً ، ويروى بها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ، فأقول له : كذبت إنما هي عن معمر عن أبان لا عن ثابت ^(١) ! » .

ثالثاً : تتبع الكذبة :

إلى جانب احتياط العلماء وتثبتهم في قبول الأخبار كان بعضهم يحاربون الكذابين علانية ويمنونهم من التحديث ، ويستعدون عليهم السلطان . فقد كان عامر الشعبي « يمر بأبي صالح صاحب التفسير ، فيأخذه بأذنه ويقول : ويحك ! كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ ^(٢) . » وقال الشافعي : « لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، كان ينجى به إلى الرجل فيقول : لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان ^(٣) » . وقد كان شعبة شديداً على الكذابين ، قال عبد الملك بن إبراهيم الجدي الثقة المأمون : « رأيت شعبة مفضباً مبادراً فقلت : « مه يا أبا بظام ، فأراني طينة ^(٤) في يده وقال : أستعدي على جعفر

(١) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧ : ب .

(٢) قبول الأخبار ص ٤٢ ، وفيه أن أبا صالح اعترف للكلبي بأن كل ما حدثه كان كذباً .

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآدب السامع ص ١٤٩ : آ .

(٤) هكذا في الأصل . والطينة واحدة الطين وهو الوحل ، ولعل الراوى أراد بها (اللبنة)

بفتح اللام وكسر الباء واحدة اللبن التي يبنى بها الجدار ، ولعله قال ذلك باعتبار أصلها .

ابن الزبير يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١). « وفي رواية « على هذا
يعنى جعفر بن الزبير ، وضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعائة
حديث كذب^(٢) » .

وعن حماد بن زيد قال : « كلنا شعبة أنا وعباد بن عباد وجرير بن حازم في
رجل ، فقلنا : لو كفت عنه ؟ قال : فكأنه لان ، وأجابنا ، قال : فذهبت يوماً
أريد الجمعة ، فإذا شعبة ينادى من خافي فقال : « ذلك الذي قلت لي فيه لا أراه
يسعى^(٣) » . وكان شعبة يفعل هذا كله حسبة لله^(٤) .

وعن أحمد بن سنان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول استعذبت ،
على عيسى بن ميمون في هذه الأحاديث التي يحدّثها عن القسم ، فقال :
لا أعوذ^(٥) .

وكان الإمام سفيان الثوري شديداً على الكذابين ، لا يتوانى عن إظهار
همومهم ، وفي هذا يقول ابن أبي غنية : « ما رأيت رجلاً أصفق وجهاً في ذات
الله من سفيان الثوري رحمه الله^(٦) » . وحدث حماد المالكى^(٧) — وكان
كذاباً — حديثاً نجاءه عمرو الأتخاطى وقال له : « والله لا تفارقني حتى استعدي
عليك ، فأقر أنه لم يسمعه من الحسن ، وحلف لا يحدث به ، (قال) فسكت عليه
كتاباً وأشهدت عليه شهوداً^(٨) » ، وكان بعض المحدثين لا يتحملون كذب هؤلاء ،

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩ ب

(٢) تهذيب التهذيب ص ٩١ ج ٢ (٤٣) انظر الجرح والتعديل ص ٢١ ج ١

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٥٠ ب ويروى نحو هذا من أبي الوليد

الطياللى انظر تهذيب التهذيب ص ٢٤٢ ج ١٠ .

(٤) الكامل لابن عدى ص ٢ ج ١ .

(٥) هو حماد بن مالك ويقال للمالكى شيخ روى من الحسن وهو بالكذب ص ٢٨٢ ج ١

ميزن الاعتدال .

(٨) المحدث الفاضل ص ٦٣ ب والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : ١٥٠ أ

فيضربونهم ويهددونهم بالقتل، (وى الامام مسلم باسناده المتصل عن حمزة الزيات قال : « سمعَ امرأةُ الهمداني من الحارث (الأعور) شيئاً فقال له : أقعد بالباب ، قال : فدخل مرةً وأخذ سيفه ، قال : وأحس الحارث بالشر فذهب^(١) ».

وكان نتيجة هذا أن توارى كثير من الكذابين ، وكفوا عن كذبهم ، كما أصبح عند العامة وعى جيد : يميزون به بين المتطفلين على الحديث وأهله ورجاله الثقات ، ويدل على هذا ما رواه ابن حجر عن يزيد بن هارون قال : « كان جعفر بن الزبير وعمران بن حدير في مسجد واحد مصلاهما ، وكان الزحام على جعفر بن الزبير وإيس عند عمران أحد ، وكان شعبة يمرهما فيقول : يا عجبا للناس ! اجتمعوا على أكذب الناس وتركوا أصدق الناس ، قل يزيد : فما نقي عليه قليل حتى رأيت ذلك الزحام على عمران ، وتركوا جعفرا وإيس عنده أحد^(٢) » . ، وكان الناس لا يجرؤون على الكذب في زمن سفيان الثوري ، لأنه كان شديداً على الكذابين : يكشف عنهم ، ويبين عوارم ، وفيه قال قتيبة بن سعيد : « لولا سفيان الثوري لامت الورع^(٣) » .

رابعا : بيان أحوال الرواة :

وكان لابد للصحابة والتابعين ومن تبعهم من معرفة رواة الحديث ،

(١) صحيح مسلم بفتح التوى ص ٩٩ ج ١ ، وكان الحارث الأعور كذابا من غلاة الشيعة توفي سنة (٦٥) هـ انظر صحيح مسلم بفتح التوى ص ٩٨ و ٩٩ ج ١ وانظر ميزان الاعتدال ص ٢٠٢ ج ١ ، ومرة هو ابن شراحيل الهمداني أبو اسماعيل السكوني تابعي ثقة عابد جليل توفي سنة (٧٦ هـ) انظر تهذيب التهذيب ص ٨٨ - ٨٩ ج ١٠ .
(٢) تهذيب التهذيب ص ٩١ ج ٢ .
(٣) السكال لابن هدى ص ٢ ج ١ .

معرفة تمسكهم من الحكم بصدقهم أو كذبهم ، حتى يتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من المكذوب ، لذلك درسوا حياة الرواة وتاريخهم ، وتتبعوهم في مختلف حياتهم ، وعرفوا جميع أحوالهم ، كما بحثوا أشد البحث (حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة^(١)) .. ، وقد قال سفيان الثوري : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ^(٢) » .

وكانوا يبينون أحوال الرواة وينقدونهم ويعملونهم حسبة لله ، لا تأخذهم خشية أحد ولا تملكهم عاطفة ، فليس أحد من أهل الحديث يجأى في الحديث أباه ولا أخاه ولا رله ، فهذا زيد بن أبي أنيسة يقول : « لا تأخذوا عن أخى^(٣) » وقال علي بن المديني لمن سأله عن أبيه : « سلوا عنه غيري ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : هو الدين ، إنه ضعيف^(٤) » ، « وكان وكيع بن الجراح لسكون والده كان على بيت المال يقرن معه آخر إذا روى عنه^(٥) » .

وكان أئمة النقاد يعينون أياما للتكلم في الرجال وأحوالهم ، قال أبو زيد الأنصاري النحوي : أتينا شعبة يوم مطر ، فقال ليس هذا يوم حديث ، اليوم يوم غيبة ، تماولوا نفتاب الكذابين^(٦) ، وكانوا يأسرون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا حال الراوى الذى يكتر غلظه ، والمتهم فى حديثه ، قل عيد الرحمن

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٣٨ : ب .

(٢) السكال لابن عدى ص ٤ : ب ، ج ٣ ، والكفاية ص ١١٩ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٢١ ج ١ .

(٤) (٥) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦ .

(٦) الكفاية ص ٤٥ .

ابن مهدى : « سألت شعبة وابن المبارك والثوري ومالك بن أنس عن الرجل يُتهم بالكذب ، فقالوا : انشروه ، فإنه دين ^(١) » ، وعن يحيى بن سعيد قال : « سألت سفيان الثوري وشعبة ، ومالكاً وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبثاً في الحديث ، فيأثبن الرجل فيسألني عنه ، قالوا : أخبر عنه أنه ليس بثبت ^(٢) » .

وكان طلاب العلم يسألون الأئمة ويكتبون إليهم ليخبروهم عن الرواة . من ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده عن عبيد الله بن معاذ العنبري عن أبيه قال : « كتبت إلى شعبة أسأله عن أبي شعبة قاضي واسط ، فكتب إلي : لا تكتب عنه ، ومزق كتابي ^(٣) » .

وكان النقاد يدققون في حكمهم على الرجال ، يعرفون لكل محدث ماله وما عليه ، قال الشعبي : « والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدّوا على تلك الواحدة ^(٤) » . وكانت المظاهر لا تغريهم ، وكل ما يهمهم أن يخلصوا العمل لله ، ويصلوا إلى ما تراتح إليه ضارهم ، لخدمة الشريعة ودفع ما يشوبها ، وبيان الحق من الباطل ، قال يحيى بن معين : « إنا لنظن على أقوام لعظم قدر خطوار حالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة ^(٥) » قال السخاوي : « أي أناس صالحون ، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث ^(٦) » .

وعن أبي بكر بن خلاد ، قال : قلت إيجي بن سعيد القطان : أما نخشى

(١) مقدمة التهيد ص ١٢ : ب .

(٢) صحيح مسلم بهرج الثوري ص ٩٢ ج ١ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٠ ج ١ .

(٤) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١ .

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٠ : آ .

(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ .

أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى ؟ قال : قال :
لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « إِمَّ حَدَّثْتُ عَنْ حَدِيثٍ أَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ ^(١) ؟ » .

وهكذا تكون علم الجرح والتعديل الذي وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين
وأتباعهم على ضوء الشريعة الحنيفية متأسين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد
قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا
قَوْمًا بِمِحْمَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ^(٢) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في الجرح : « بئس أخو المشيرة » ، وفي التعديل : « إن عبد الله رجلٌ
صالح ^(٣) » ، وقال السخاوي : (وأما المتكلمون في الرجال فخلق من نجوم
الهدى ومصاييح الظلام المستضاء بهم في دفع الردى ، لا يتهماً حصرهم في زمن
الصحابة رضي الله عنهم ، سرد ابن عدي في مقدمة كامله منهم خلقاً إلى زمنه
(٢٧٧ - ٣٦٥ هـ) فالصحابة الذين أوردهم : عمر ، وعلى ، وابن عباس ،
وعبد الله بن سلام ، وعبادة بن الصامت ، وأنس ، وعائشة — رضي الله عنهم ،
و « أورد » ^(٤) تصريح كل منهم بتكذيب من لم يصدقه فيما قاله ، وسرد من
التابعين عدداً كالشعبي ، وابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ، وابن جبير ،
ولكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم لقلة الضعف في متبوعهم ، إذ أكثرهم
صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات ، ولا يكاد يوجد
في القرن الأول الذي اقتصرت فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد

(١) الكفاية ص ٤ .

(٢) ٦ : الحجرات .

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ وانظر الكفاية ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) ليست في النص زديناها لتتقيم العبارة .

بعد الواحد ، كالحارث الأعور ، والحذر الكذاب .

فلما مضى القرن الأول ودخل الثاني كان في أوله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالباً من قبل تحملهم وضبطهم للحديث .

فلما كان عند آخرهم ^(١) عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تسكلم في في التوثيق والتجريح طائفة من الأئمة ، فقال أبو حنيفة : ما رأيت أ كذب من جابر الجعفي ، وضعف الأعمش جماعة ووثق آخرون ، ونظر في الرجال شعبة وكان متنبها لا يسكاد يروي إلا عن ثقة ، وكذلك كان مالك . وعمن إذا قال في هذا العصر قبل قوله : معمر ، وهشام الدستوائي ، والأوزاعي ، والثوري ، وابن الماجشون ، وحامد بن سلمة ، ولأبي بن سعد ، وغيرهم ، ثم طبقة أخرى بعد هؤلاء : كإبن المبارك ، وهشيم ، وأبي إسحاق الفزاري ، والمعاوية بن عمران الموصلي ، وبشر بن الفضل ، وابن عيينة ، وغيرهم . . . ^(٢) « وقد بين هؤلاء من تقبل روايته ومن لا تقبل ، وتكلموا في العدالة وموجباتها ، وفي الجرح وأسبابه ، وقد نص عمر رضي الله عنه في كتابه إلى أبي موسى الأشعري على العدالة ، ووضع أول الأسس في ذلك ، وبين من تقبل شهادته ومن لا تقبل ، ولما كانت الرواية لا تختلف عن الشهادة من ناحية التحمل والأداء ، فموسعنا أن نقول : إن عمر رضي الله عنه قد نص على العدالة التي يجب أن يتحمل بها كل مسلم حتى تقبل شهادته وروايته ، فقد قال رضي الله عنه : « والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجرباً عليه شهادة زور ، أو مجلوداً في حد . . . فإن الله تعالى تولى من البعاد السرأر ^(٣) » وتسكلم بعده الصحابة والتابعون ، وبينوا

(١) أي ما كان عند آخر التابعين انتهاء عصر التابعين .

(٢) الإعلان بالتوثيق لمن ذه التاريخ من ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) إعلام الموقعين ص ٨٦ - ٨٧ .

من ترك روايته مطلقاً ، ومن لا تقبل روايته ولو تاب ، كالوضاعين الكاذبين على رسول الله ، وأصحاب البدع الداعين إلى بدعهم إذا استحلوا الكذب ، قال الإمام مالك : « لا يؤخذ العلم عن أربعة ، ويؤخذ عن سوى ذلك : لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سقى معلى بالسفاهة وإن كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تنهيه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث ^(١) » . وقيل لشعبة بن الحجاج : متى يترك حديث الرجل ؟ قال : إذا روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون فأكثر ، وإذا أكثر الغلط ، وإذا اتهم بالكذب ، وإذا روى حديثاً غلطاً مجتمعاً عليه فلم ينههم نفسه فيتركه ، طرّح حديثه . وما كان غير ذلك فأروا عنه ^(٢) .

وقال الإمام الشافعي : « كان ابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وطاوس ، وغير واحد من التابعين — يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى ويحفظ ، وما رأيت أحداً من أهل الحديث يخالف هذا المذهب ^(٣) » .

هكذا بين جماعة هذا العلم — منذ صدر الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف — أحوال الرواة : المقبول منهم والمتروك . وتكامل علم الجرح والتعديل ، وألفت مصنفات ضخمة في الرواة وأقوال النقاد فيهم ، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابين والضعفاء بالعدول الثقات ، كما ألفت مصنفات ومعاجم خاصة

(١) الحديث الفاصل من ٧٩ : ٢ - ٧٩ : ب ، والجرح والتعديل من ٣٢ ج ١ ، والكفاية من ١١٦ .

(٢) الجرح والتعديل من ٣٢ ج ١ والحديث الفاصل من ٨١ : ب - ٨٢ : أ وروى نحوه هذا عن ابن المبارك أظن الكفاية من ١٤٣ ، وأيضاً نحوه عن الإمام أحمد أظن الكفاية من ١٤٤ .

(٣) مقدمة التمهيد من ١٠ : ب .

بالضعفاء والمتروكين ، وأصبح من السهل جداً على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب في كل عصر ، وقد بنى النقاد حكمهم في الرواة على قواعد دقيقة ، فقدموا للحضارة الإنسانية أعظم إنتاج في هذا المضمار ، يفخر به المسلمون أبد الدهر ، وتتميز به الأمة الإسلامية التي شهد لها كبار العلماء بأياديها البيضاء في خدمة السنة الشريفة ، قال المستشرق الماني « شبرنجر » في تصدر كتاب الإصابة لابن حجر — طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣ — ١٨٦٤ — : « لم تكن فيما مضى أمة من الأمم الساقفة ، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر ، الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم ^(١) . . . »

ولم يكنف العلماء بالتزام الإسناد ، والتثبت من الأحاديث بالارتحال إلى الصحابة وكبار التابعين ، وبمراجعتها ومقارنتها ومعرفة طرقها وأسانيدھا ومعرفة رواتها وأحوالهم ، والثقة منهم والمجروح ، بل قسموا الحديث إلى درجات يعرف بها المقبول من الردود ، والقوى من الضعيف ، ققسموه إلى صحيح وحسن وضعيف ، وبينوا حد كل منها وما يندرج تحته ، أما الحديث الحسن فلم يكن معروفاً عند المحدثين في القرن الهجري الثاني ، وإنما عرف بعد ذلك ، ويعتبر كتاب الترمذی أصلاً في معرفة الحسن ^(٢) ، كما (يوجد — الحسن — في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله ، كأحمد والبخاري وغيرهما ^(٣)) وتكلموا في أنواع الضعيف ، وبنوا ذلك على منشا الضعف من السند أو المتن ،

(١) أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١٣٦ .

(٢) انظر اختصار علوم الحديث ص ٤٣ .

(٣) الباعث الحديث ص ٤ ، أي في كلام بعض مشايخ الترمذی .

وقد قسمه ابن حبان تسعة وأربعين قسماً^(١) ، وقسمه ابن الصلاح أقساماً كثيرة باعتبار الصفة التي فقدوها من صفات القبول الستة ، وهي : الاتصال ، والعدالة والضبط ، والمتابعة في المستور ، وعدم الشذوذ ، وعدم العلة ، وباعتبار فقد صفة مع صفة أخرى تليها أولاً ، أو مع أكثر من صفة إلى أن تفقد الستة ، فبلغت فيما ذكره العراقي في شرح الألفية اثنين وأربعين قسماً^(٢) ، وقسمه غيره إلى أنواع أكثر من ذلك لا يتسع المجال لذكرها .

خامساً : وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث :

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث ، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه ، وذكروا ما يدل على الوضع في سند الحديث ، وما يدل عليه في متنه ، ومنوجز هذه العلامات فيما يلي :

(١) علامات الوضع في المتن :

١ - أن يعترف راوي الحديث بكذبه ، ويقر باختلافه ما يروى ، كما أقر عبد الكريم الوضع ، وأبو عصمة نوح بن أبي مرثد ، وكما اعترف أبو جزي وهو مريض فقال : « لولا أنه حضرني من الله ما ترون كنت خليفاً ألا أقر ولا أعترف ، ولكني أشهدكم أنني وضعت من الحديث كذا وكذا ، وإني أستغفر الله منها وأتوب إليه^(٣) » . وهذا أقوى دليل على كون الحديث موضوعاً .

(١) انظر تدريب الراوي ص ١٠٥ .

(٢) انظر للرجع السابق ص ١٠٥ ، وفتح الميث ص ٥٥ ج ١ .

(٣) قبول الأخبار ص ٦ .

٢ - وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع :

كان يروى عن شيخ لم يلقه ، أو يروى عن شيخ في بلد لم يرحل إليه ، أو يروى عن شيخ ولد بعد وفاته ، أو توفي هذا الشيخ والراوى صغير لا يدرك ، قيل لشعبة : لم لا تحدث عن عثمان بن أبي اليقظان ، وهو عثمان بن عير ؟ فقال : كيف أحدث عن رجل كنت جالسا معه فسألته عن سنة ، فأخبرني بمولده ثم حدث عن رجل قد مات قبل أن يولد^(١) ؟ وإن هذا الصنف لا يمكن معرفته إلا بمعرفة مولد الشيوخ ووفاتهم ، والبلدان التي رحلوا إليها ، ولأماكن التي أقاموا فيها ، كيلا يستعمل الوضعون الشيخ الثقات لترويج ما يضمون ، وقد وفق علماء الأمة في هذا ، فقسموا الرواة طبقات ، وعرفوا كل شيء عنهم ، ولم يخف عليهم من أحوالهم شيء ، وفي هذا قل حفص بن غياث : « إذا اتهم الشيخ فاسبوه بالتاريخ - يعنى احسبوا سنة وسن من كتب عنه - وقال حسان ابن زيد : لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : كم سنة ؟ وفي أى تاريخ ولد ؟ فان أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه^(٢) » .

٣ - أن يتفرد راو معروف بالكذب برواية حدث ، ولا يرويه ثقة غيره فيحكم على روايته بالوضع وقد استقصى جهابذة الأمة الكذابين ، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد .

٤ - ومن القرائن التي يدرك بها الوضع ، ما يؤخذ من حال الراوى ، كما وقع للامون بن أحمد ، أنه ذكر بحضرته اختلاف في كون الحسن سمع من

(١) قبول الأخبار ص ١٦ .

(٢) تهذيب التاريخ الكبير لابن هاشم ص ٢٦ - ١ .

أبي هريرة أولاً ، فساق في الحال إسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
سمع الحسن من أبي هريرة ^(١) .

ومن هذا ما ذكرناه عن سيف بن عمر الذي روى خبر وضع سعد بن طريف
لحديث «معلمو صبيانكم شراركم ...» ^(٢) .

• • •

(ب) علامات الوضع في المتن :

مقدمة : قال الإمام ابن قيم الجوزية : (وسئلت : هل يمكن معرفة الموضوع
بضابط ، من غير أن ينظر في سنده ؟ فهذا سؤال عظيم القدر ، وإنما يعلم ذلك
من تضلع في معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة ،
وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويحذر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ،
وبشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ،
ومثل هذا يعرف - من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ،
وما يجوز أن يخبر عنه ، وما لا يجوز - ما لا يعرفه غيره ، وهذا شأن كل متبع
مع متبوعه ، فلأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها والتمييز
بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح - ما ليس لمن لا يكون كذلك .
وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم : يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم
وأساليبهم ومشاربهم - ما لا يعرفه غيرهم) ^(٣) .

(١) قواعد التحديث ص ١٣٣ وقيل لأبون بن أحمد الهروي : ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه
بجراسان ؟ فقال : حدثنا أحمد بن عبد الله . . . من أس مرفوعاً يكون في أمي رجل يقال له
محمد بن إدريس أضر على أمي من إبليس . انظر تدريب الراوي ص ١٨١ .
(٢) انظر ص ٢١٧ - ٢١٨ في الفصل السابق من هذا الباب .
(٣) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٥ وانظر قواعد التحديث ص ١٤٨ .

قال ابن دقيق العيد : « وكثيراً ما يحكمون بذلك (أى بالوضع) باعتبار يرجع إلى المروى وألفاظ الحديث ، وحاصله أنها حصلت لهم بكثرة محولة ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم هيئة نفسانية وملكية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظه وما لا يجوز ، فإن معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى .^(١) »

ومن القرآن التي تدل على الوضع في المتن :

١ - ركافة اللفظ في المروى بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها لوضعها . قال الحافظ ابن حجر : « المدار في الركة على ركة المعنى ، فحيث وجدت دلت على الوضع ، وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركة ترجع إلى الرداءة ، أما ركافة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك ، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى ، فتغير ألفاظه بنهر فصيح ، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فكاذب .^(٢) »

٢ - فساد المعنى :

كأحاديث التي يكذبها الحس ، نحو حديث : الباذنجان لما أكل له ،^(٣) والباذنجان شفاء من كل داء^(٤) ، ومنها سماجة الحديث ، وكونه مما يسخر منه كحديث : « لو كان الأرز رجلاً لكان حليماً ، ما أكله جائع إلا أشبهه^(٥) » ، قال ابن قيم الجوزية : فهذا من السمج البارد الذي يصاب عنه كلام العقلاء ، فضلاً

(١) توضيح الأضكار ص ٩٤ ج ٢ .

(٢) الباعث الخبيث ص ٩٠ .

(٣ و ٤) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٩ .

(٥) المنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠ .

عن كلام سيد الأنبياء^(١) ، وحديث : من اتخذ ديكا أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر^(٢) ، وكل ما يدل على إباحة المفاصد والسير وراء الشهوات كحديث : ثلاثة تزيد في البصر : النظر إلى الخضرة ، والماء الجاري ، والوجه الحسن^(٣) . وحديث : النظر إلى الوجه الجميل عبادة^(٤) . قال ابن قيم الجوزية : « وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم ، أو الأمر بالنظر إليهم ، أو التماس الخواص منهم ، أو أن النار لا تمسهم — فكذب مخلوق ، وإفك مفترى^(٥) » .

ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث هوج بن عنق الطويل ، الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء ، فإن في هذا الحديث : (أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلاث ، وأن نوحا لما خوفه الفرق ، قال له : احملني في قصبتك هذه ، وأن الطوفان لم يطل إلى كعبه ، وأنه خاض البحر ، فوصل إلى حجزته ، وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس ، وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى ، وأراد أن يرميهم بها فطوقها الله في عنقه مثل الطوق^(٦)) .

وكذلك كل حديث يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء ، فكيف تصدر عن رسول الله الذي أوتي جوامع الكلم كحديث : « الحجرة التي في السماء من عرق الأنبياء التي تحت العرش^(٧) » وحديث « المؤمن حلو بحب الخلاوة^(٨) »

(١) النار لابن قيم الجوزية ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

(٣) و(٤) النار ص ٢٤ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٨) النار ص ٢٥ .

وحديث « المهرسة تشد الظهر^(١) » - كلها وأمثالها من وضع الوضاعين الذين افتروا على رسول الله الكذب ، ووضعوا ما يخالف الشريعة وما ينافي رسالة الأنبياء الذين جاءوا يخاطبون أولى الألباب وبأسرون بالمعقول ، ولم تكن رسائلهم لتفضيل طعام على طعام ، وإثارة الشهوات ، ورواية الأساطير والخرافات ، والإنيان بما يرده الحق ويرفضه العقل . وفي هذا كلمة لابن الجوزي قال : « ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المعقول أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع^(٢) » .

٣ - ما يناقض نص الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي^(٣) ، وما يناقض السنة مناقضة بينة :

قال ابن قيم الجوزية : « ومنها^(٤) مخالفة الحديث صريح القرآن . كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة . ويحىء في الألف السابعة^(٥) . وهذا من آيين الكذب ، لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا^(٦) مائتان وخمسون سنة . والله تعالى يقول : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟ قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ . قُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً . يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقٌّ عَنْهَا قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ^(٧) » وقال الله تعالى : « إِنْ أَشَاءَ اللَّهُ عِنْدَ

(١) للتار ص ٢٥ . (٢) تدريب الراوي ص ١٨٠ .

(٣) انظر توضيح الألفكار ص ٩٦ ج ٢ .

(٤) أي الأمور التي يبرف بها كون الحديث موضوعا .

(٥) لعله يريد أنه يحىء نهاية عمر الدنيا في الألف السابعة .

(٦) عاش ابن قيم الجوزية من سنة (٦٩١ إلى سنة ٧٥٢ هـ) .

(٧) : الأعراف .

عِلْمُ السَّاعَةِ^(١) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله »^(٢) .

وبما وضع مناقضاً للسنة مناقضة بينة (أحاديث مدح من اسمه محمد وأحمد ، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار . وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه صلى الله عليه وسلم : أن النار لا يحار منها بالأسماء والألقاب ، وإنما النجاة منها بالآيمان والأعمال الصالحة)^(٣) .

وجميع الأحاديث التي تنص على وصاية علي رضي الله عنه أو على خلافته غير صحيحة ، وهي موضوعة ، لأنها تخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص على تولية أحد بعده .

٤ - كل حديث يدعى تواطؤ الصحابة على كتمان أمر ، وعدم نقله ، كما تزعم الشيعة : (أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم ، وهم راجعون من حجة الوداع ، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ، ثم قال : « هذا وصي وأخي ، والخليفة من بعدي ، فاسمعوا وأطيعوا » ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره ، فلم ينقله الله على الكاذبين)^(٤) .

٥ - كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه . مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ، كذب من عدة وجوه :

(١) ٣٤ : لقمان .

(٢) النار ص ٣١ .

(٣ و ٤) : النار ص ٢٢ .

أحدها : أن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وسعد توفي قبل ذلك في غزاة الخندق .

الثاني : أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب وإنما أنزلت بعد عام تبوك ، حين وضعها النبي صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران ويهود اليمن . . . وبين ابن قيم الجزية كذب هذا في عشرة أدلة قوية .^(١)

ومثاله ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي وائل قل : خرج علينا ابن مسعود بصفين ، فقال أبو نعم : آتراه بعث بعد الموت^(٢) . فابن مسعود توفي قبل صفين سنة ٣٢ هجرية .

٦ - « أن يكون خبراً عن أمر جسم كحصر العدو للحاج عن البيت ، ثم لا ينقله منهم إلا واحد ، لأن العادة جارية بتظاهر الأخبار في مثل ذلك . قلت : ويمثله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر ، ولا ينقله إلا واحد من الحاضرين^(٣) » .

٧ - « موافقة الحديث لمذهب الراوى ، وهو متمصّب مقال في تعصبه ، كأن يروى رافضى حديثاً في فضائل أهل البيت ، أو مرجئ حديثاً في الإرجاء ، مثل ما رواه حبة بن جوين قال : سمعت علياً رضى الله عنه قال : عبت الله مع رسوله قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين ، قال ابن حبان : كان حبة غالباً في التشيع ، واهياً في الحديث^(٤) » .

(١) انظر المنار ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) انظر صحيح مسلم بفتح النوى ص ١١٧ ج ١ .

(٣) توضيح الأفتكار ص ٩٦ ج ٢ .

(٤) السنة ومكانتها في التصريح الإسلامى ص ١١٨ .

٨ - اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل صغير ، مثال ذلك : « من قال لا إله إلا الله ، خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان ، لسكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له » و « من فعل كذا وكذا ، أعطى في الجنة سبعين ألف مدينة ، في كل مدينة سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف حوراء » .

وأما هذه المجازفات الباردة التي لا يتخلو حال واضعها من أحد أمرين : إما أن يكون في غاية الجهل والحق . وإما أن يكون زديقا قصد التنقيص بالرسول صلى الله عليه وسلم ^(١) .

وإلى جانب هذه القواعد ، فقد تكونت عند أكثر العلماء ملكة خاصة ، نتيجة لدراستهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظه ومقارنة طرقه ، فأصبحوا يعرفون - لكثرة ممارستهم هذا - ما هو من كلام الصادق المصدوق وما ليس من كلامه ، وفي هذا يقول ابن الجوزي : (الحديث المنكر يتشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه في الغالب ^(٢)) ويقول الربيع بن خثيم التابعي الجليل - أحد أصحاب ابن مسعود - : « إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به ، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها ^(٣) » .

هذه أم القواعد التي وضعها جهابذة علم الحديث لتمييز الموضوع من

(١) النار ص ١٩ .

(٢) الباعث الخثيم ص ٩٠ .

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٦٢ ، والمحدث الفاضل ص ٦٣ : آ ، وأظفر الكفاية ص ٤٣١ : وذكر الربيع بن خثيم في بعض المصادر (خثيم) كما في كتاب (الجمع بين رجا ، الصحيحين) ص ١٣٤ ج ١ والصواب (خثيم) كما في طبقات ابن سعد ص ١٢٧ ج ٦ وغيره .

الصحيح ، كما أنهم بحثوا بدقة تامة عن الأحاديث الموضوعة ، وصنفوها حتى
تعرّف لأهل العلم ولا تشبه عليهم ، ونلاحظ أن هذه القواعد تناولت الحديث
سندا ومقتنا ، فلم تقتصر جهود العلماء على نقد سند الحديث فقط دون متنه ، كما
ادعى بعض المستشرقين وأيدم في ذلك بعض الكاتبيين المسلمين ، وسنستعرض
بعض آرائهم في هذا الموضوع ، ليظهر لنا بطلان ما ادعوا وزيف ما زعموا على
ضوء ما بيناه .



الفصل الثالث

أراء بعض المستشرقين وأشياءهم في السنة ونهوها

١ - رأى جولد تسيهر : يقول الدكتور على حسن عبد القادر : (وهنا مسألة جد خطيرة ، نجد من الخير أن نعرض لها بيمض التفصيل ، وهي (وضع الحديث) في هذا العصر ، ولقد ساد إلى وقت قريب في أوساط المستشرقين الرأي القائل « بأن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني ، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة ، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام في عصر النضوج » ، ويقول في الهامش هذا الرأي الذي ننقله هو رأى جولد تسيهر في كتابه « دراسات اسلامية »^(١) . وقد انتشر رأى (جولد تسيهر) هذا في الغرب والشرق وأصبح من مسلمات البحث عند المستشرقين ، كما أن (جولد تسيهر) نفسه بين رأيه في السنة واضحا في كتابه « العقيدة والشرعية في الإسلام » . فقد قال : (ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول ، أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى ، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلي ،

(١) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي : ١٢٦ - ١٢٧ ، وانظر دائرة المعارف

الإسلامية مادة (حديث) و

بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة في ظاهرها ، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه . فالحق أن كل فكرة ، وكل حزب وكل صاحب مذهب ، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل ، وأن الخالف له في الرأي يسلك أيضا هذا الطريق ، ومن ذلك لا يوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بحديث أو بحجة من الأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة . ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر ، ومن أجل هذا وضع العلماء علما خاصا له قيمته ، وهو علم نقد الحديث ، لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث ، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة ، ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التي تجد لها مجالا كبيرا في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها ، ووقف حيالها لا يجرؤ ساكنا .

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولا ، وكان ذلك في القرن السابع الهجري ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجري أنواعا من الأحاديث كانت مبعثرة ، وأوها أحاديث صحيحة^(١) . إن سوء ظن هذا الباحث في السنة ظهر في طيات كتابه المذكور ، في أبحاث ونقاط كثيرة ، وإنما استشهدت ببعض ما يتناول بحثنا ، ويتجلى لنا عما أوردت عن جولد نسيهر ما يلي :

١ - يرى أن أكثر الحديث نتيجة للتطور الإسلامي السياسي والاجتماعي أي أنه موضوع .

٢ - يرى أن رجال الإسلام القدامى (الصحابة والتابعين) كان لهم يد في وضع الأحاديث .

٣ - إن بعد الزمان والمكان من عهد الرسالة يسمح لأصحاب المذاهب أن ينتحلوا الأحاديث لدعم مذاهبهم ، بل ما من مذهب نظري أو عملي إلا وقد عزز رأيه في مختلف النواحي العقائدية أو الفقهية أو السياسية حتى في العبادات بأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة .

٤ - وجهة نظر النقاد المسلمين تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب الذين لا يسلّمون بصحة كثير من الأحاديث التي قرر المسلمون صحتها .

٥ - يصور الكتب الستة بأنها ضم لأنواع من الأحاديث التي كانت مبعثرة رأى جامعوها أنها صحيحة .

هذه النقاط الخمسة هي خلاصة رأى جولد تسيهر في الوضع والنقد ، وله آراء كثيرة متفرقة خارجة عن إطار بحثنا^(١) ، وستناقش هذه النقاط بإيجاز على ضوء ما سبق أن أثبتناه .

١ - إن ما ادعاه من أن أكثر الحديث نتيجة للتطور غير صحيح ، لأن المسلمين منذ القرن الأول ومن عهد الصحابة كانوا يشتبئون في قبول الأحاديث ، وكانوا يتبعون الكذابين والوضاعين ، وعرفوا الأحاديث الموضوعة والصحيحة . ثم إن القرآن الكريم قد جاء بالقواعد الكلية التي تناسب كل زمان ومكان ولم يتعرض الجزئيات وطرق تنفيذها التي يمكن أن تتبدل وتتغير حسب البيئة والزمان دون أن تؤثر على القواعد الكبرى والأهداف العليا للإسلام ، وترك

(١) تصدى الدكتور مصطفى السباعي للمستشرقين ورد عليهم في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ورد على جولد تسيهر رداً قيباً فليراجع هناك ص ٣٦٤ وما بعدها .

الله تعالى لأحكام وسائل التطبيق والتنفيذ في ظلال الكتاب والسنة والأصول التي تليها . فالمسلمون ليسوا بحاجة إلى اختلاق أحاديث تبرر ما يقومون به نتيجة لحياتهم الجديدة ، فقد كفاهم الله عز وجل هذا بما شرعه لهم من أسس وقواعد خالدة إلى يوم الدين ، رضيها لهم ورضوها لأنفسهم ، وقد قال تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَارْتَمَمَتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ^(١) » .

٢ - يرى أن رجال الإسلام القدامى لهم يد في الوضع . فمن هم رجال الإسلام القدامى إذا لم يكونوا الصحابة والتابعين ؟ فإذا كان يقصد هم فإننا قد بينا فيما سبق احتراز الصحابة عن ذلك وعدم انغماس كبار التابعين في حمأة الوضع فلا داعي للتكرار .

٣ - إذا كان بعض أهل الأهواء قد استجازوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لدعم أهوائهم فهذا لا يعني قط أن أصحاب المذاهب الفقهية والسياسية والمقائدية قد اختلقوا الأحاديث لدعم مذاهبهم ، ثم لم يظن السوء بهذه المذاهب ؟ ولم يدعى كذبها ووضعها بعض الأحاديث ؟ يجب أن يعلم كل إنسان أن الاختلافات الفقهية بين الصحابة أو الفقهاء لم يكن مردها هوى في النفس أو تعصبا في الرأي ، وإنما كانت لأسباب كثيرة أهمها أن بعض الأحاديث وصلت إلى الأئمة دون بعض فحكموا بها ، أو أنها وصلتهم ولكنها ثبتت عند بعضهم ولم تثبت عند الآخرين ، أو أنها ثبتت عند الجميع واختلفوا في الاستنباط منها وما إلى هذا ^(٢) ، فالفقهاء جميعا متفقون على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهل يعقل

(١) : الآية ٣ .

(٢) انظر رفع الأعلام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية وهي رسالة مشيرة جلية القدر عظيمة النفع .

من هؤلاء أن يكذبوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام لدعم مذهبهم ؟
وإنما قامت مذاهبهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وشربت من ينبوع
الرسول الصافي عليه الصلاة والسلام .

إن تعميم جولد تسير لم يبن على دراسة موضوعية للمذاهب الفقهية
والعقائدية بل اكتفى بما وجدته عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعة ،
أو بما رآه في كتب بعض أتباع المذاهب الفقهية التي دس فيها بعض الأحاديث
الضعيفة أو الموضوعة ، ثم ألصق هذا بأصحاب هذه المذاهب جريا وراء هواه ،
لعدم رأيه في وضع أكثر الأحاديث -

٤ - إن وجهة نظر النقاد المسلمين مبنية على القواعد والأصول التي
وضعوها في تقدم ، وقد رأينا دقتها وعرفنا قيمتها ، فمن الطبيعي أن تختلف عن
وجهة نظر النقاد الأجانب ، الذين لا يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم
ولا يستقنون الإجماع إليه ، فنحن مختلفون معهم من نقطة البداية ، لأن كثيرا
من الأحاديث التي تتناول العقائد والنبيات سلمنا بصحتها بعد التحقيق العلمي ،
وسلمنا بكل ما جاء فيها لأنها عن الصادق المصدوق ، فاختلاف وجهة نظرم
لا يضيرنا ما دمنا قد سلكنا في نقدنا ومبحثنا أسلم طرق البحث العلمي وأدقها ،
وقد شهد لنا بذلك المنصفون منهم .

٥ - أما رأيه في الكتب الستة : أنها مجموعة من الأحاديث التي ضحها
مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة في القرن الثالث ، ورأوا أنها صحيحة - فهذا
رأى مردود ، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التي بذلوها خلال القرن الأول
والثاني في سبيل صيانة السنة وحفظها ، فالسنة لم تكن مبعثرة متفرقة ، بل كان
معظمها عمليا ، يطبقه المسلمون ، ويطبقون تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على

هذه ، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين ، أو على موطن الإسلام الأول ، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام في القرن الأول والقرون التالية ، وزاعت في الآفاق عندما حرر المسلمون الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام ، وانتقلت السنة العملية والقولية والتفريعية ، جيلا عن جيل ، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت في كتب مصنفة ، وفي أجزاء مبنية في منتصف القرن الثاني الهجري على أيدي كبار العلماء والحفاظ ، وإن ماجمه البخاري ومسلم وغيرها في القرن الثالث لم يكن مبعثرا ، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التي كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصميعة ويستوضح هذا لنا جليا عندما نتكلم عن تدوين السنة .

* * *

ثانيا : رأى غاستون ويت : كاتب مقال (الحديث) في التاريخ العام للديانات .

أورد غاستون ويت رأى جولد تسيهر السابق وأيده^(١) ، وتعرض لنقد الحديث فقال : « وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى (السند) ومعرفة الرجال ، والتفاهم وسماع بعضهم من بعض . . . ثم يقول : لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ، ثم جمعه الحفاظ ودونوه ، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا « المتن » ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية في أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعي أن يكونوا قد زادوا شيئا عليه في أثناء

روايتهم (لأنه كان بالمشافهة) ، ومهما كان هذا الرأي صحيحاً فإن المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح^(١) .

* * *

ثالثاً — رأى الأستاذ أحمد أمين :

قال : (وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ، ولكنهم — والحق يقال — عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن نظفر منهم بنقد من ناحية أن مانسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التي قبلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المؤلف في تعبير النبي ، أو أن الحديث أشبه في شروطه وقبوره بمتون الفقه ، وهكذا ، ولم نظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم ، حتى يرى البخاري نفسه — على جليل قدره ، ودقيق بحثه — يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والملاحظة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال ، كحديث : « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة » وحديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل . »^(٢)) .

إن ما ذكره (غاستون ويت) والأستاذ أحمد أمين — فيه حيف وظلم للجهود التي بذلها علماء السنة لحفظ الحديث الشريف وتخليصه من كل ما يشوبه فإن علماء الجرح والتعديل تناولوا نقد سند الحديث كما تناولوا نقد مقته ، وإن الجهود التي بذلوها في نقد المتن لا تقل عن جهودهم في نقد السند ، وقد لمسنا تلك

(١) Mistolre Générale Des Religions, P, 365. (Islam)

(٢) جرن الإسلام من ٢١٧ — ٢١٨ .

الجهود حينما استعرضنا القواعد التي وضعوها لتمييز الموضوع من الصحيح .
ونستطيع أن نرد على كل من يدعى أن نقد العلماء كان منصبا على (السند)
دون (المتن) بأنهم - كما وضعوا علامات لتمييز السند الضعيف من السند
الصحيح - وضعوا علامات تميز متن الخبر الموضوع عن غيره ، وهذه العلامات
ثمانية للمتن وأربعة للسند ، كما ثبت لدينا ، فهل بقيت مع هذا حجة لدعم
ذلك الزعم ؟!

وأما ما ادعاه (غاستون ويت) من زيادة الرواة شيئا على ما يروونه عن
حسن نية ، فهذا مدفوع بما حققه العلماء في أحاديثهم الدقيقة عن زيادة الراوى
شيئا على الخبر ، وبينوا أن هذه الزيادة قد تكون في المتن أو في الإسناد^(١) ،
وما يضيفه الراوى يسمى (المدرج) والادراج على الحقيقة إنما يكون في المتن ،
وبينوا صور المدرج ونصوا على كثير من إدراجات الرواة ، فلم يلتبس على
على علماء الأمة المدرج ، بل عرفوا كل ذلك .
ومعظم ما أدرج كان نتيجة لتفسير الشيخ ، يسمعه الطالب فيظنه
من الحديث .

وقد عرف العلماء هذا ، وبينوا أن ما يقع من الراوى خطأ من غير عمد
فلا حرج على الخطئ . ، إلا إن كثرت خطؤه ، فيكون جرحا في ضبطه واتقانه^(٢)
وبعرف ما أدرجه الراوى بإقراره ، أو بمقارنة طرق الخبر ، فيتبين بهذه المقارنة
ما أدرج من قبل الراوى . وقد عرف النقاد هذا كله ونصوا عليه .
وأما ما قاله الأستاذ أحمد أمين من أن (البخارى نفسه على جليل قدره

(١) انظر الباحث الحديث من ٨٠ .

(٢) انظر المرجع السابق من ٨٤ .

ودقيق محته يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والملاحظة التجريبية على أنها غير صحيحة ، لاقتصاره على نقد الرجال) . فهذا حكم لا نوافقه عليه ولا نقول به ، لأن ما استشهد به لدعم رأيه لا يثبت هذا بل يمارضه ، بل إن حديث « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة » صحيح ، وقد فهمه الأستاذ فهما مخالفاً للحقيقة ، وذهب في تأويله مذهباً بعيداً كل البعد عن الصواب ، وقد روى هذا الحديث من طرق عدة فسر بعضها بعضاً ، فالمراد من الحديث أنه عند انقضاء مائة سنة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبقى أحد ممن كان موجوداً في عهده صلى الله عليه وسلم حين قال هذا النبأ ، فضلاً كان هذا الكثير من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام لأنه لم يبق أحد ممن كان في عهده عليه الصلاة والسلام أكثر من مائة عام ، فكل ما في الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه أنهم لن يعمرُوا كما عمر من قبلهم من الأمم ^(١) ، ولذلك عليهم أن يحدوا في طاعتهم ، ويصلوا في دينهم لآخرتهم وليس في هذا ما يخالف الحوادث الزمنية والملاحظات التجريبية ، ويقول الدكتور مصطفى السباعي : (فانت ترى أن هذا الحديث الذي كان في الواقع معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم يتقلب في منطق النقد الجديد الذي دعا إليه صاحب فجر الإسلام إلى أن يكون مكذوباً مفترى) ^(٢) .

وأما حديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك

(١) انظر فتح الباري ص ٢٢٢ ج ١ ذكر البخاري بعض الحديث وبين ابن حجر أحواله العلماء فيه وأشار إلى الحديث كاملاً في (كتاب الصلاة) حيث تفسره واضح كما بينا ، وانظر تأويل مختلف الحديث ص ١١٩ ، وانظر السنة ومكاتها في التفسير الإسلامي ص ٢٥٩ - ٢٦٣ حيث فند الدكتور السباعي أخطاء الأستاذ أحمد أمين ورد عليه رداً مفصلاً .

(٢) السنة ومكاتها في التفسير الإسلامي ص ٢٦١ .

اليوم إلى الليل» فقد أخرجه الإمام البخارى في (كتاب الطب) ^(١) كما أخرجه الإمام مسلم ^(٢) والإمام أحمد ^(٣)، وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الأحاديث المفيدة بذلك ومنهم من أطلقه، (والذى ارتضاه الأكرهون تخصيصه بمعجوة المدينة، قال ابن القيم في زاد المعاد: «والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة، ولا سيما لمن اعتاد الغذاء به... وتفع هذا العدد من التمر، من هذا البلد، من هذه البقعة بعينها — من السم والسر بحيث تمنع إصابته — من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والالتقاد، مع أن القائل إنما معه الخدس والتخمين والظن. فن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى، أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض. هذا خلاصة ما ذكره في هذا المقام.

والذى أراه أن المبادرة إلى تكذيب حديث ورفضه لا نصح، إلا إذا ومن طريقه، أو حكم العقل والطب حكما قاطعا بتكذيبه وبطلانه، وهذا الحديث قد صح سنده من غير طريق عن أئمة الحديث، ورواه ثقات عدول لا مجال لتكذيبهم ومتمه صحيح على وجه الإجمال، إذ أثبت للمعجوة فائدة، وحض على أكلها ومن المقرر حتى في الطب الحديث أن المعجوة مغذية، مليئة للمعدة، منشطة للجسم، مبيدة للديدان المنتشرة فيه، ولا شك في أن الأمراض الداخلية: من تعفن الأمعاء وانتشار الديدان — سموم تودى بحياة الإنسان إذا استفحل أمرها، وإذا فالحديث من حيث معالجة المعجوة للسموم بالجلة صادق لا غبار عليه، أما السر فإذا ذهبنا إلى أنه مرض نفسى، وأنه يحتاج إلى علاج نفسى وأن الإيحاء النفسى له أثر كبير

(١) صحيح البخارى بهرح السدى ص ٢٠ ج ٤

(٢) صحيح مسلم ص ١٦١٨ ج ٣

(٣) في سنده حديث ١٤٤٢، ١٥٢٨، ١٥٧١، ١٥٧٢ ج ٣

في شفاء المرضى بمثل تلك الأمراض، وإذا أخذنا المعجزة على أنها مفيدة للجسم، مقوية للبنية، قاتلة للديدان، قاضية على تعفن الفضلات وأنها من عجوة المدينة. مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا علاج وصفه عليه الصلاة والسلام وهو الذي لا ينطق عن الهوى فلا أشك في أن ذلك يحدث أثرا طيبا في نفس المسحور.

(إذك لا تشك معي في أن إقدام مؤلف « فجر الإسلام » على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة بالغة منه، لا يمكن أن تقبل في المحيط العلمي بأي حال، ما دام سنده صحيحا بلا زاع، وما دام متنه صحيحا على وجه الإجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص المعجوة وبقيتي أنه لو كان في الحجاز معاهد طبية راقية، أو لو كان تمر العالمية موجودا عند الغربيين، لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة، ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة، إن لم يكن اليوم غنى المستقبل إن شاء الله^(١)). انتهى ما نقلناه عن الدكتور مصطفى السباعي.

ولم يكتف الأستاذ أحمد أمين بما ذكرناه، بل حاول أن يستشهد بأحاديث عدة على اكتفاء النقاد بنقد السند دون المتن، إلا أنه لم يوفق إلى إثبات ما ادعى بما استشهد به، وما من حديث استشهد به إلا فند العلماء القول فيه، وبينوا طريقه، وأزالوا كل ما قد يستشكله الباحثون وأهل الأهواء^(٢).

(١) السنة ومكاتها في التصريح الإسلامى ص ٢٦٣ - ٢٦٦

(٢) رد أستاذنا الدكتور مصطفى السباعي على الأستاذ أحمد أمين جيم شبهاء رد عليا قويا
ظيراجع في كتابه السنة ومكاتها في التصريح الإسلامى ص ٢١٧ - ٣٠٣ وما يتعلق بموضوعنا
هذا ص ٢٦٦ - ٢٧١ .

الفصل الرابع

أشهر ألف في الرجال والموضوعات

وهو ثمار جهود العلماء في المحافظة على الحديث

كان لظهور الوضع أثر بعيد في نفوس العلماء حملهم على بذل تلك الجهود العظيمة للمحافظة على الحديث ، وكان الوضع من الأسباب القوية التي دفعت العلماء إلى جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه ، حرصا منهم على صيافته من عبث الوضاعين . وقد عبر الامام الزهري عن هذا فقال : (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق لنكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ، ولا أذنت في كتابه ^(١)) .

وقد فصلت القول في جمع الحديث الشريف وتصنيفه في الباب الرابع من هذا الكتاب ، وفيه يتجلى لنا اهتمام العلماء بجمع الحديث ، وتخليصه من الموضوع ، ثم حرصهم على تصنيف الصحيح منه .

والآن سنستعرض آثار العلماء فيما صنفوه من كتب كان لها الأثر الطيب في حفظ الحديث النبوي ، فيما يتناول موضوعنا من الرجال وتاريخهم وأحوالهم ، وكنابهم وألقابهم وأنسابهم وضبط أسمائهم ، وبيان الثقات والضعفاء منهم ، وما ألف في الموضوع وغير ذلك - وإن كان قد ألف بعد هذا العصر - مما كان له فضل في صيانة الحديث . وتعتبر هذه المؤلفات حصنا منيعا حول الحديث ، تحطم على جنباته سهام أعداء السنة ، وستبقى أعظم دليل على اهتمام

المسلمين بسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم ومساهماتهم في بناء تراث الانسانية العلى .
وقد اعتنيتُ بجمع هذه المؤلفات ، وحاولت حصرها مما طالعت من المطبوع
منها والخطوط ، وما ذكره السيد محمد الكتاني في كتابه (الرسالة المستطرفة
لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) الذى ذكر فيه مؤلفات كثيرة في الحديث
وعلمه . وما ذكره الأستاذ عمر كحالة في كتابه (معجم المؤلفين) وما ذكره
الأستاذ خير الدين الزركلى في (الأعلام) ، وما صر على من كتب لبعض علماء
الحديث ورواته في طيات تراجمهم مما لم يذكر في هذه الكتب وما وجدته في
فهارس دور الكتب - وكان من العسير حصر جميع ما ألف في موضوعنا
هذا - وإذا بي أمام ثروة علمية ضخمة تربي على نيف وخمين ومائتى مؤلف ،
ورأيت المقام يضيق عن ذكرها ، ولهذا فضلت أن أكتفى بذكر بعض
المشهور منها .

أولاً : أشهر الكتب التى ألفت فى الصحابة :

كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يعرفون من له محبة ، وخاصة من عالى
منهم نقل الحديث وروايته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يحفظون
أسماء كثير منهم ، وقد حرص العلماء على حصرهم ، وبيان مروياتهم وأحوالهم
وأوطانهم وتاريخ وفاة كل منهم ، وقد جمعتُ قريباً من أربعين مؤلفاً فى
الصحابة منها :

- ١ - (معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان) فى خمسة أجزاء
للإمام الثقة صاحب التصانيف الكثيرة أبى الحسن على بن عبد الله المدائنى
(١٦١ - ٢٣٤ هـ ^(١))

- ٢ - (كتاب المعرفة) في مائة جزء وهو في معرفة الصحابة للإمام
أبي محمد عبد الله بن عيسى المروزي مفق سره وعالمها (٢٢٠ - ٢٩٣ هـ^(١)).
٣ - (كتاب الصحابة) في خمسة أجزاء للإمام محمد بن حبان أبي حاتم
البيستي (٢٧٠ - ٣٥٤ هـ^(٢)).

٤ - (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لأبي عمر يوسف بن عبد الله
ابن محمد بن عبد البر البري القرطبي المالكي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ)، وقد طبع في
مجلدين بالهند سنتي (١٣١٨، ١٣١٩ هـ)، ثم طبع أخيراً في أربعة أجزاء بمصر،
وقد سماه بهذا الاسم ظناً منه أنه استوعب الأصحاب، ولكنه فاته كثير
منهم، وفيه خمسمائة وثلاثة آلاف ترجمة^(٣).

٥ - (أسد الغابة في معرفة الصحابة) في خمس مجلدات للمؤرخ عز الدين
أبي الحسن علي بن محمد (ابن الأثير) (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ)، وطبع الكتاب سنة
(١٢٨٦ هـ^(٤)) في مصر، وفيه سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون ترجمة.

٦ - (تجريد أسماء الصحابة) في جزأين للإمام الحافظ شمس الدين
أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)، وقد طبع بالهند
سنة (١٣١٠ هـ^(٥)).

(١) الرسالة المنطوقة ص ٩٥، ومعجم المؤلفين ص ١٣٥ ج ٦.

(٢) الأعلام ص ٣٠٦ ج ٦.

(٣) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح الحديث ١٥٩ و ١٦١ و ٢٥٧)
كما طبع الاستيعاب على هاشم كتاب الاسامى في مصر سنة (١٣٢٨ هـ) في أربع مجلدات،
يوجد منها في دار الكتب المصرية عدة نسخ تحت رقم (مصطلح الحديث : ٢٢٩ و ٢٣٠).
واختصر الاستيعاب العلامة محمد بن يعقوب الخليل في كتاب سماه (اعلام الاسامى بأعلام الصحابة)
مخطوط في دار الكتب تحت الرقم (١٠٩ - مصطلح). وذل غير واحد على الاستيعاب.

(٤) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ١٠٣).

(٥) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ٢٦٣).

٧ - (لإصابة في تمييز الصحابة) للإمام شهاب محمد بن أحمد بن علي السكتاني العسقلاني (ابن حجر) صاحب التصانيف الكثير : (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) وهو أجمع ما كتب في هذا الباب ، وقد طبع سنة (١٨٥٣ م) بالهند ، ثم طبع في مصر سنة (١٣٢٣ هـ) في ثمانية أجزاء ، جعلت الستة الأولى منها للأسماء ، وفيها (٩٤٧٧) ترجمة والمجلد السابع للسكنى ، وفي (١٢٥٧) كنية والمجلد الثامن في تراجم النساء ، ومن (١٥٤٥) ترجمة ^(١) .

٨ - (الرياض المستطاة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة) للشيخ يحيى بن أبي بكر العاصري البني (٨١٦ - ٨٩٣ هـ) وقد طبع في (٩٢) صفحة بالهند سنة (١٣٠٣ هـ) ^(٢) .

٩ - (در الصحابة في من دخل مصر من الصحابة) لخاتمة الحقاظ جلال الدين : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) . وهو جزء صغير طبع في أول كتابه (حسن المحاضرة) بمصر سنة (١٣٢٧ هـ) .

١٠ - (البدر المنير في صحابة البشير النذير) للشيخ محمد قاسم بن صالح السندی الحنفي القادري ، كان حيا قبل سنة ١١٤٥ هـ ، وقد ذكر في كتابه أسماء الصحابة الذين وردت محبتهم بطريق الرواية أو بما يدل على الصحبة بأي طريق ^(٣) .

(١) النسخة التي وصفناها ، مطابقة لنسخة الهند ، محفوظة في خزانة قسم الإرشاد في دار الكتب المصرية ، وصحت الإصابة طبقات أخرى مختلفة منها طبعة مصر سنة ١٣٢٥ و ١٩٠٧ م .

(٢) ذكر في هذا الكتاب من له رؤيه الرسول صلى الله عليه وسلم ورواية في الصحيحين ، وقد رتبته على الحروف ، وذكر ما روى له الشيخان في كتابهما ثم ما اتفقا عليه ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم . وذكر لأصحاب من روى عنه من أصحاب الكتب الأربعة . راجع الكتاب المذكور في دار الكتب المصرية (مصطلح ١٦٢) وهو كتاب مفيد .

(٣) ويسمى هذا الكتاب أيضا (تيسير المرام بذكر صحابة) أنزل من طاف بيت الله الحرام أو شمس الهدى في صحابة المصطفى المقتدى) وهو مخطوط في (٢٨٢) ورقة مصطرتها =

وهناك كتب كثيرة استقت من هذه الأصول ، كما اختصر بعض العلماء بعض هذه الكتب أو ذيلوا عليها .

فهنالك ذيل على (لاستيعاب) لابن عبد البر ، كذيل ابن فتحون الأندلسي (٥١٧ هـ) ، وذيل أبي الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد (٥٤٨ هـ) ، وغيرها من الذيل والمختصرات ^(١) .

كما اختصر الإمام السيوطي كتاب الإصابة ، وسماه (عين الإصابة في معرفة الصحابة ^(٢)) .

ثانياً - أشهر ما صنف في تواريخ الرجال وأحوالهم :

وإذا انتقلنا إلى أخبار الرواة وأحوالهم نرى مصنفات مختلفة المنهج . فمن المحدثين والمؤرخين من صنف كتبه على ترتيب السنين ، ومنهم من صنف حسب البلدان ، ومنهم من رتب كتبه على الحروف ، كما هي الحال في كتب التراجم ، وآخرون جعلوا الرجال على طبقات أو أجيال . وتتفاوت هذه المصنفات بين اسهاب واختصار ، فبني الإيجاز في كتب التراجم ، والتفصيل في التواريخ الكبيرة كتاريخ دمشق ، وتاريخ بغداد ، وتاريخ الإسلام ، وقد جمعت نيفاً وتسعين كتاباً اقتصر على ذكر أشهرها ،

== ٢١ سطر : ٢١ × ١٢ سم توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطاح : ٣٢٥) .

(١) اختصر الشيخ محمد بن عبد السند روسي الشافعي الطرابلسي (١١٧٧ هـ) كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وسماه (الشموس المضية في ذكر أصحاب خير البرية) وهو مرتب على حروف المعجم حذف منه الطويل في ذكر الأنساب والأشعار . وذكر فيه ما للصعابي من أحاديث الضعيفين أو في أحدهما . والكتاب مخطوط في (٣١٨) ورقة مطر بها ٢٥ سطر : ٢٥ × ١٤ سم . في دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطاح : ١٣٠) .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ١٥٣ .

فقد تعرض أولاً أشهر ما كتب في التاريخ والتراجم التي تناولت أحوال الرجال ،
ثم تناول بالبحث كتب الطبقات .

(١) كتب في تواريخ الرجال وأحوالهم :

١ - (تاريخ الرواة) للإمام يحيى بن معين (١٥٨ - ٢٣٣ هـ) وهو
مرتب على حروف المعجم ^(١) ، وله أيضاً (معرفة الرجال) و (التاريخ والرجال) ^(٢) .
٢ - (التاريخ) في عشرة أجزاء للمحدث النسابة الإخباري خليفة
ابن خياط الشيباني المصفرى (- ٢٤٠ هـ) ^(٣) .

٣ - (التاريخ) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ^(٤) .
٤ - (التاريخ الكبير) لسيد الحفاظ وأميرم الامام محمد بن اسماعيل
البخارى أبى عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) وهو تاريخ عظيم ذكر فيه أسماء من
روى عنه الحديث ، وكأنه حارل استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم إلى
طبقة شيوخة ، فباع عددهم قريبا من أربعين ألفا ، بين رجل وامرأة وضعيف
وثقة ^(٥) ، وقد قدر شيوخة ومعاصروه تاريخه هذا ، حتى إن شيخه الامام اسحاق
ابن ابراهيم (ابن راهوية) لما رأى التاريخ لأول مرة فرح به كثيرا ، ودخل
به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال : « أيها الأمير ألا أريك
سحرا ^(٦) » . والكتاب في أربعة أجزاء كبيرة ، رتبته على حروف

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ - ٩٧ ، وتاريخه معروف باسمه (تاريخ ابن معين) .

(٢) انظر معجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج ١٣ .

(٣) انظر الأعلام ص ٣٦١ ج ٢ .

(٤) الأعلام ص ١٩٢ ج ١ .

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٩٦ .

(٦) مقدمة فتح اليارى ص ٤٨٤ .

المعجم^(١) ، وفيه قال التاج السبكي : (إنه لم يسبق إليه ، ومن ألف بعده في التاريخ أو الأسماء أو الكنى فعال عليه^(٢)) وطبع التاريخ الكبير في ثمان مجلدات في حيدر آباد^(٣) سنة (١٣٦١ - ١٣٦٢ هـ) ، وله أيضا التاريخ الوسط والصغير ، وقد طبع التاريخ الصغير بالهند سنة (١٣٢٥ هـ) وهو ثمانية أجزاء صغيرة في مجلد واحد^(٤) .

٥ - (التاريخ الكبير) للمؤرخ الأندلسي أحمد بن سعيد بن حزم الصديقي أبي عمر (٢٨٤ - ٥٣٥٠ هـ) وهو في المحدثين ، قال ابن الفريسي : بلغ الغاية ، وقال ابن خيبر : خمة وثمانون جزءا^(٥) .

٦ - (الهداية والارشاد في معرفة أهل الثقة والصداد) لأبي النصر أحمد ابن محمد بن الحسين السكلابادي (٣٠٦ - ٣٩٨ هـ) ذكر فيه الذين

(١) بدأ بالمحمد بن تظايل اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوابعه في كتابه باسم الرسول عليه الصلاة والسلام ونسبه الشريفين . وقد حمل اسم بابا ورب الأسماء في الباب الواحد على حروف المعجم وراعي هذا في الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا . ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر (باب إبراهيم ثم باب اسماء ، ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم باب إياس وهكذا وذكر اسم المنجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له ، ولما يذكر جرحا أو تمديلا وإذا كان صحابيا أشار إلى ذلك .

(٢) الرسالة المنطرفة ص ٩٦ .

(٣) انظر الجزء الأول مطبوعا في مجلدين فيها (٢٨٩٤) ترجمة في خزنة دار الكتب المصرية تحت رقم (ح ١٠٣٤٠) ويوجد من التاريخ الكبير في دار الكتب المصرية الأجزاء (٢١ و ٤) مصورة في ست مجلدات عن النسخة المخطوطة بمكتبة آيا صوفيا بالقسطنطينية . ينتهي الجزء الأول والثاني منها في آخر باب الظاء ويبدى الرابع من ترجمة عباس إلى آخر الكتاب . راجع النسخة تحت الرقم (٢١ رنج : ١٨٩٠) .

(٤) توجد عدة نسخ منه في دار الكتب المصرية منها تحت الرقم (تاريخ ٤٠٢ و ٢٧٠٢) .

(٥) انظر الأعلام ص ١٢٦ ج ١ ، ومعجم المؤلفين ص ٢٢٢ ج ١ .

خرجهم الإمام البخارى فى جامعنا^(١) .

٧ - (تاريخ نيسابور) ل محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى ، المعروف بابن البيع (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) قال فيه السبكي : وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء .
بقائده ، ومن نظره عرف تفنن الرجل فى العلوم جميعها^(٢) ، وله أيضا (تراجم الشيوخ) ، و (تسمية من أخرجهم البخارى ومسلم)^(٣) .

٨ - (تاريخ بغداد) لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد البغدادى الشافعى المعروف بالخطيب البغدادى (٣٩٢ - ٤٩٣ هـ) وهو من أجل الكتب وأعودها قائده ، ذكر فيه رجالها ومن ورد إليها وضم إليه فوائد جمه ، وقد رتبته على حروف المعجم ، وذكر فيه الثقات والضعفاء والمتروكين ، وعليه ذبولات متعددة ، وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م) فى أربعة عشر جزءا .
نظم (٧٨٣١) ترجمة .

٩ - (السابق واللاحق فى تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد)
للخطيب البغدادى أيضا^(٤) .

(١) توجد منه نسخ مخطوطة فى دار الكتب المصرية منها نسخة كاملة تحت الرقم (١٦ مصطاح) تم نسخها سنة (٨٢٥ هـ) فى (٢١٥) ورقة ومطرتها ١٧ سطرا : ١٧ × ١٣٥ سم ولديها ثانية مقابلة ومعارضة تحت الرقم (٧٦ مصطاح) تم نسخها فى سنة (٥٤٤) وفى أول هذه النسخة نص . ورتبه على حروف المعجم وبدأ باب الألف بمن اسمه أحمد وباب الميم بمن اسمه محمد تقريبا لإسمه صلى الله عليه وسلم .

(٢) وما يؤسف له أن الكتاب مفقود ، وقد اطلعت على قطعة منقولة ومنقبة منه فى (٧٤) لوحة فى قلم محفوظ تحت الرقم (٦٥٧ تاريخ) ، فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية .
(٣) الأعلام من ١٠١ ج ٧ ، والرسالة المتقطعة من ٩٩ .

(٤) انظر المخطوط رقم (٣٨١ مصطاح) فى دار الكتب المصرية وهو فى (١٤٨) لوحة مصورة ، يذكر فى هذا الكتاب من روى عنه راويان أو أكثر وبين وفاتهما أمديكيه مثال ذلك (أحمد بن محمد بن حنبل . . . حدث عنه أبو عبد الله بن إدريس الشافعى . . .
بالمعنى القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ، وبين وفاتهما مائة وثلاث عشرة سنة)

١٠ - (الجمع بين رجال الصحيحين) : صحيح البخارى ومسلم للإمام حافظ
أبى الفضل محمد بن طاهر القدسي المعروف بابن القيسراني الشيباني
(٤٤٨ - ٥٠٧ هـ) جمع فيه بين كتابي أبى نصر السكلاباذي وأبى بكر أحمد
ابن على الأصهباني في رجال البخارى ومسلم . وطبع هذا الكتاب بالهند سنة
(١٣٢٣ هـ) في (٦٣٨) صفحة في مجلدين ^(١) . وللمؤلف أيضا (تاريخ أهل الشام
ومعرفة الأئمة منهم والأعلام) مجلدان و (إيضاح الإشكال فيمن أبهم اسمه من
النساء والرجال) ^(٢) وله (المغني في أسماء رجال الحديث) طبع في آخر (تقريب
التهذيب بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) .

١١ - (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا أو أكثر ^(٣) ، للحافظ المؤرخ
أبى القاسم على بن الحسين (ابن عساكر) الدمشقي (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) وهو
كتاب عظيم جامع ، وقد اختصره الشيخ عبد القادر بدران بمحذف الأسانيد
والمكررات وسمى المختصر (تهذيب تاريخ ابن عساكر) ، طبع منه سبعة أجزاء
في دمشق ابتداء من سنة (١٣٢٩ هـ) . ولابن عساكر أيضا (تاريخ المزة) ،

(١) انظر نسخ دار الكتب المصرية منها تحت رقم (١٧١ و ٢٦٤ مصطلح وقد) استدرج
القدس في كتابه هذا ما فات السكلاباذي والأصهباني ، واختصر بعض ما يستغنى عنه من الطويل ،
ورتبته على حروف المعجم ، وأبدأ حرف الألف بمن اسمه (أحمد) وحرف الميم بمن اسمه (محمد)
تبركا باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويترجم أولا لمن اتفقا عليه ثم لمن أفرد البخارى ثم لمن
أفردته مسلم .

(٢) الأعلام ص ٤١ ج ٢

(٣) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٩ وهذا الكتاب يشتمل على ذكر من حل دمشق من أمثال
البرية ، واجتاز بها أو بأعمالها من ذوى الفضل والزينة . . . والفقهاء والفضلاء العلماء . . .
وإبراد ما ذكروه من تعديل وجرح وحكاية عنها . . . وقد رتبته على التراجم وبدأ بمن اسمه
(أحمد) تبركا باسمه صلى الله عليه وسلم ، وسلك في تأليفه منسلك الخطيب البغدادي في تاريخه ،
موجده منه في دار الكتب المصرية في قسم المخطوطات (٣٧ مجلدا) .

و (معجم القسوان) ، و (معجم الشيوخ والنبلاء^(١)) ، و (المعجم المشتمل على أسماء الكتب الستة) ، قال في مقدمته : أما بعد ، (فإني لما أخرجت أحاديث كتب السنن للأئمة الأول ورتبتها ترتيبا لا يفضى بالناظر إلى السأمة والملل ، رأيت أن أجمع أسماء شيوخهم الثقات النبل ، وأضيف إليها أسماء شيوخ البخاري ومسلم^(٢)) .

١٢ - كتاب (الكامل في أسماء الرجال) في مجلدين^(٣) للحافظ أبي محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسى الجماعلى الحنبلى الدمشقى (٥٤١ - ٦٠٠ هـ) .

١٣ - (جامع الأصول لأحاديث الرسول^(٤)) لمجد الدين أبى السعادات : مبارك بن محمد المعروف بابن الأنير (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) .

١٤ - (المعجم) في تاريخ المحدثين في ثمانية عشر جزءا . لأبى المظفر عبد الكريم بن منصور السمعانى (٠٠ - ٦١٥ هـ^(٥)) .

١٥ - (التدوين في ذكر أخبار قزوين) لأبى القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى (٥٥٧ - ٦٢٣ هـ) ذكر فيه خصائصها ، وما ورد فيها من

(١) انظر الأعلام ص ٨٢ ج ٥ .

(٢) راجع مخطوطة دار الكتب المصرية (مصطلح : ٣٣٧) ومى فى (١٠٠) ورقة ومسطرتها ١٣ سطرا .

(٣) راجع النسخة المخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥ مصطلح) ومى ثلاثة أجزاء فى مجلدين فى (٣٢٧ و ٢٩٠) ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا .

(٤) يوجد من الكتاب المذكور فى دار الكتب المصرية مجلد واحد فيه الجزءان التاسع والعاشر ، وبه ينتهى الكتاب ، وهو فى أسماء الرجال والصعابة ، فى (٢٥٥) ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا : ٢٧ × ١٨ سم تحت رقم (مصطلح : ٢٢٥ طلعت) .

(٥) انظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٣ .

الأخبار النبوية والآثار، وفي أسمائها، ومن وردها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن عرف بنوع من العلم والدراسة من سكانها وأهلها، ومن توطنها وغيرهم، ورتب التراجم على الحروف وابتدأه بذكر الحمد بن تبركا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في أربع مجلدات مصورة في في دار الكتب المصرية (١).

١٦ - (التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) للحافظ محمد بن عبد الغنى ابن أبى بكر معين الدين : (ابن فقط) الحنبل البغدادى (- ٦٢٩ هـ) (٢)
وقد ذيل عليه تقي الدين محمد بن أحمد الحنبلى الفاسى المكى المالكى (- ٨٣٢ هـ) (٣).

١٧ - (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى الدمشقى (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) ؛ وهو تهذيب لما جمعه الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى فى كتابه (الكمال فى أسماء الرجال) : رجال البخارى ومسلم وأبى داود الترمذى والنسائى وابن ماجه فرتب المزى فى تهذيبه عامة رواة العلم وحلة الآثار وعامة المشهورين من كل طائفة من طوائف أهل العلم على حروف المعجم ، ثم ذكر أسماء

(١) انظر الكتاب فى خزانة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٤٨ : تاريخ) .
(٢و٣) هم فيه كل من هذه روى شتا من كتب السنة كالموطأ والصححين والسنن الأربعة .
وصحيح ابن حبان ومن المعاجم والمسانيد للامامين الشافعى وابن حنبل ، ومن كتب المير والتواريخ والأدب لليبى .

انظر النسخة الموصوفة فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٠٨٨٦)
وهى مصورة فى (٣١٧) لوحة فى كل لوحة صفحتين . ومسطرتها ٢٥ سطرا :
٢٢ × ٢٦ سم .

النساء . وقد استغرق تأليفه من سنة (٧٠٥ - ٧١٢ هـ) وهو خسون جزءا في اثني عشر مجلدا^(١) .

١٨ - (تذهيب تهذيب الكمال^(٢)) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) وفيه اختصر (تهذيب الكمال) للمزني ثم اختصره أيضا في كتابه (السكشاف عن رجال الكتب الستة) ، واقتصر فيه على من له رواية في هذه الكتب ، ووضع رموزا لمن أخرج له من أصحاب الكتب الستة أو أحدهم أو بعضهم ، وذكر تواريخ وفاتهم ، ورتبه على حروف المعجم ، وبدأ في حرف الألف بالأحدين ، وفي حرف الميم بالحمددين ، نشريفا لاسمه عليه الصلاة والسلام^(٣) .

١٩ - (تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام) للإمام الذهبي أيضا .

(١) توجد نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٥٠ مصطلح) وقد كتبت الصخرة المجلدات الأول بين سنتي (٧٤٠ و ٧٤٨ هـ) وعدة أوراق الجلب على التوالي : ٣٩١/٤٠٨/٣٧٢/٤١١/٤٥٦/٤٠٣/٤٢٦/٣٧٤/٣٩٢/٣٧٥/٣٥٤/٣٣٦ ورقة . وقد استدركت المحدث الحافظ علاء الدين منطاي (٦٩٠ - ٧٦٢ هـ) على ما فات المزني في (تهذيب الكمال) في كتاب سماه (اكمل تهذيب الكمال في أسماء الرجال) في (١٣) مجلدا ، انظر معجم المؤلفين ص ٣١٣ ج ١٢ واختصر تهذيب الكمال وأضاف عليه محمد بن علي الحسيني انظر الأعلام ص ١٧٧ = ٧ .

(٢) وهو في خمسة اجزاء مخطوطة ، يوجد منها في دار الكتب المصرية الأجزاء (١ و ٢ و ٣ و ٤) وهي نسخة مطابقة ، ومصححة في حياة المؤلف سنة ٧٣٦ هـ أوراقها على التوالي : (٢٢٠/٢٤٨/٢٠٧/١٩٩) ورقة ومطرتها مختلفة . والحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الحراري (المتوفى بعد سنة ٩٢٣ هـ) كتبه (خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال) طبع بمصر سنة (١٣٠١) في مجلد .

(٣) انظر النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩ مصطلح) في مجلد عدد أوراقه (٢١٣) ورقة ومطرتها ٢٣ سطرا : ٢٧ X ٨ سم ، وتوجد نسختان أخريان .

جمع فيه بين الحوادث والوفيات ورتبه على السنين ، فابتدأه من الهجرة النبوية ، وانتهى فيه إلى آخر سنة (٨٧٠ هـ) وقسمه إلى سبعين طبقة ، وجعل كل طبقة عشر سنين ، ورتب أسماء كل طبقة على ترتيب حروف المعجم ، والحوادث على السنين في ست وثلاثين مجلداً^(١) ، طبع منها في مصر خمسة أجزاء سنة (١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م) .

واختصر الذهبي من تاريخه مختصرات منها (سيد أعلام النبلاء) في أربعة عشر مجلداً^(٢) ، طبع منها الجزء الأول والثاني بمصر سنة (١٩٥٧ م) والثالث سنة (١٩٦٢ م) .

٢٠ - (التذكرة برجال العشرة) لمحمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي (٧١٥ - ٨٧٥ هـ) ، ضم في كتابه هذا إلى من (في تهذيب الكمال) لشيخه المزي من في الكتب الأربعة : الموطأ ومسنند الشافعي ومسنند أحمد ومسنند أبي حنيفة الذي خرج به الحسين بن محمد بن خسرو من حديث أبي حنيفة ، واقتصر على من في الكتب الستة دون من أخرج لهم مصنفوها في مصنفاتهم الأخرى كالأدب المفرد للبخاري^(٣) (...) .

٢١ - (تهذيب التهذيب) للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) وفيه تلخيص (تهذيب الكمال) للمزي

(١) انظر الأعلام ص ٦٢٢٧ ج ٦ ، ويوجد منه في دار الكتب المصرية (٣٤) مجلداً مخطوطاً .

(٢) انظر الرسالة المطبوعة ص ١٠١ ، وفي دار الكتب نسخة مصدرة منه .

(٣) انظر مقدمة تجلil المنفعة . وكان ابن حجر قد اطلع على الكتاب وتبع ما في كتابه الفرائد من ما لا في معرفة السنن والآثار البيهقي من الرجال الذين وقع ذكرهم في روايات الشافعي مما ليس في السنن وما في كتاب الزهد للإمام أحمد مما ليس في مسنده وما في كتاب الآثار لمحمد بن الحسن ومما (تجلil المنفعة . بزوائد رجال الأئمة الأربعة) طبع بالهند سنة ١٣٢٤ هـ .

وزاد عليه فوائد كثيرة ؛ وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ) في اثني عشر مجلدا ، ويعتبر (تهذيب التهذيب) من أجمع كتب تراجم رواة الحديث المتداولة بين العلماء في هذا العصر ، وأصبحت نسخة نادرة وعزيرة ، وقد تلخصه ابن حجر في مجلد واحد سماه (تقريب التهذيب في أسماء الرجال) طبع بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) ثم طبع سنة (١٣٥٦ هـ) مع تعقيب التقريب للمولوي أمير علي ^(١) .

٢٢ - (اسامى المبطلين رجال الموطأ) للحافظ جلال الدين السيوطي وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) .

• • •

(ب) كتب الطبقات :

وهي الكتب التي جعل مصنفوها الرجال على طبقات ، وذكروا أحوالهم طبقة بعد طبقة إلى عصر المؤلف وقد جمعت نيفا وعشرين مؤلفا في موضوعنا .
أقتصر على ذكر أشهرها .

١ - (الطبقات الكبرى) للذريح الثقة محمد بن سعد بن منيع الحافظ كاتب الواقدي (المولود سنة ١٦٨ هـ والمتوفى سنة ٢٣٠ هـ) . فقد صنف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم رجم لأصحابه على طبقاتهم ، فالتابعين ، فمن بعدهم إلى وقته ، فأجاد وأحسن ، ويعتبر كتابه هذا من أوثق وأهم المصادر الإسلامية في التاريخ والرجال .

(١) كما طبع على هامش (التقريب) كتاب (المنى في أسماء رجال الحديث) للعلامة محمد بن طاهر بالهند سنة (١٢٦٠ هـ) وهناك طبقات أخرى وظهرت أخيرا طبعة جيدة لتقريب التهذيب طبعت في القاهرة سنة (١٣٨٠ هـ) .

وقد طبعت الطبقات بمدينة ليدن سنة (١٣٢٢ هـ) في ثلاثة عشر مجلداً خصص الأخير منها للنساء ، ووضع لكل من ترجم لهم ابن سعد في المجلد الرابع عشر فهرس عام ، مما يسهل الرجوع إليه . ولابن سعد أيضاً طبقات صغرى ثانية وثالثة^(١) .

٢ - (طبقات الرواة) في ثمانية أجزاء^(٢) للحافظ أبى عمرو خليفة بن خياط الشيبانى العصفري (- ٢٤٠ هـ) أحد شيوخ البخارى .

٣ - (طبقات التابعين) للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (- ٢٠٤ هـ - ٢٦١ هـ^(٣)) .

٤ - كتاب (التابعين) فى اثنى عشر جزءاً ، للحافظ محمد بن حبان أبى حاتم البستى ، (٢٧٠ - ٣٥٤ هـ) وله (اتباع التابعين) و (تباع التابعين) كلاهما فى خمسة عشر جزءاً^(٤) . و (الطبقات الأصبهانية)^(٥) .

٥ - (طبقات المحدثين والرواة) لأبى نعيم . أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ^(٦)) .

٦ - (طبقات الحفاظ) للحافظ شمس الدين الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)

(١) انظر الطبقات الكبرى فى قسم الإرشاد فى دار الكتب المصرية ، وانظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٤ .

(٢) الأعلام ص ٣٦١ ج ٢ ويوجد فى دار الكتب المصرية جزء من نسخة فيه من سكن المدينة من الصحابة والتابعين فى (٢٠٩) ورفات ، مسطرتها بين ٢٢١ و ٢٢٩ سطراً : ٢٩٠ - ٢٠٠ م فلا من نسخة قديمة ترجع إلى القرن الرابع الهجرى ، محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، ونسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٧٥) مصطلح .

(٣) معجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج ١٢ .

(٤) الأعلام ص ٣٠٦ ج ٦ .

(٥) معجم المؤلفين ص ١٢٣ ج ٩ .

(٦) الأعلام ص ١٥٠ ج ١ .

ترجم فيه رواية الحديث من الصحابة والتابعين وأنباهم ومن تلام إلى عصره وجعلهم على إحدى وعشرين طبقة ، طبع في أربعة أجزاء بالهند ، ويصير من أنفس كتب الطبقات (١) .

٧ - (طبقات الحفاظ) لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ذكر فيه تراجم الحفاظ موجزة وقد طبع سنة (١٨٣٣ م) بنوطا .

وغير هذه الكتب كثير ، مما ألف في طبقات علماء المذاهب ، وطبقات حفاظ البلدان ككتاب الحديثين بأصبهان والواردين عليها لعبد الله محمد الأصماني ، وطبقات علماء أفريقيا لأبي العرب محمد بن أحمد التيمسي المغربي الإفريقي ، وغير ذلك .

• • •

ثالثا : كتب في معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب :

وكما صنف العلماء تراجم الرواة وأحوالهم ، رأوا أن يصنفوا ما يضبط أسماء الرواة لدفع الالتباس ، ومنع الوقوع في الخطأ بسبب تشابه أسماء الرجال وكنام وأنسابهم ، فصنفوا كتباً كثيرة في الكنى والألقاب والأنساب ، وهذه الكتب أكثر من أن تحصى ، وقد جمعت منها نيافا وثلاثين كتابا ، سأذكر أشهر ما ألف في الأسماء والكنى والألقاب ، ثم أتبعها بأشهر كتب أنساب الرواة .

(١) انظر هذه النسخة في قسم الارشاد من دار الكتب المصرية باسم (تذكرة الحفاظ) .

(١) كتب في الأسماء والكنى والألقاب :

- ١ - (الأسماء والكنى) في ثمانية أجزاء^(١) لعلى بن عبد الله بن جعفر المدينى (المولود سنة ١٦١ هـ والمتوفى سنة ٢٣٤ هـ) .
- ٢ - (الأسماء والكنى^(٢)) للامام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) .
- ٣ - (الكنى) ألف بهذا الاسم كثير من أئمة الحديث في ذلك العصر ، منهم الامام البخارى والنسائى وعبد الرحمن بن أبى حاتم وغيرهم^(٣) .
- ٤ - (كتاب الكنى والأسماء^(٤)) للامام مسلم بن الحجاج النيسابورى (٢٠٤ - ٢٦١ هـ) .
- ٥ - (الكنى والأسماء) لأبى بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الأنصارى الدولابى (٢٣٤ - ٣٢٠ هـ) وهو كتاب جامع مشهور ، طبع في جزأين بالهند سنة (١٣٢٢ - ١٣٢٣ هـ)^(٥) .
- ٦ - (الأسماء والكنى^(٦)) في أربعة عشر مجلدا للحاكم الكبير أبى أحمد محمد بن محمد بن أحمد النيسابورى الحافظ المحدث (٢٨٥ - ٣٧٨ هـ) .
- ٧ - (فتح الباب في الكنى والألقاب) لأبى عبد الله محمد بن اسحاق

(١) معجم المؤلفين ص ١٣٢ ج ٧ .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٠ .

(٣) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٠ - ٩١ .

(٤) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في (٧٦) ورقة بتوسط مطرئها

٢١ سطرا تحت رقم (٢٢١) طلعت : مصطلح) .

(٥) الجزءان على التوالي (١٧١ / ٢٠٢) صفحة سوى (٩٤) صفحة فهرس وتوجد نسخة

مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٦٠) مصطلح) .

(٦) الرسالة للمستطرفة ص ٩١ ، والأعلام ص ٢٤٤ ج ٧ ، ومعجم المؤلفين ص ١٨٠ ج ١١ .

ابن منذة الأصبهاني (٣١٠ - ٣٩٥ هـ) نشره وعلق عليه (وى دويج) بألمانيا سنة (١٩٢٧ م).

٨ - (المؤلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث) و (المشتبه في النسبة) للإمام النسابة أبي محمد عبد الغني بن سعيد الأسدي المصري شيخ حفاظ الحديث عصره (٣٣٢ - ٤٠٩ هـ) وقد طبع الكتابان في مجلد واحد في (٢١٦) صفحة بالهند سنة (١٣٢٦ هـ).

٩ - (تسكلة المؤلف والمختلف) و (الأسماء والألقاب^(١)) و (الأسماء المهمة في الأنباء المحكمة^(٢)) و (تلخيص المتشابه في الرسم في أسماء الرواة^(٣)) لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ).

١٠ - (الاكمال في رفع الازتياب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب) للأمير الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله بن جعفر: ابن مأكولا البغدادي (٤٢١ - ٤٨٦ هـ)، وهو كتاب قيم، ألقه بعد أن اطلع على كتب البغدادي وعلى كتابي عبد الغني بن سعيد الأزدي^(٤).

(١) الأعلام ص ١٦٦ ج ١ وبالغية (تسكلة المؤلف والمختلف) انظر مقدمة (الالاكمال في رفع الازتياب) لابن مأكولا.

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت الرقم (١٥٥٨ حديث).
(٣) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣١ مصطلح) وقد رتب الكتاب على خة فصول، وبعد أن انتهى من هذا الكتاب أتبعه بكتاب ثان ضمنه ما يتفق من أسماء المحدثين وأسابهم، والكتابان في مجلد واحد الأول في (٢٨٠) ورقة والثاني في (٦٨) ورقة ومسطرته ٢٢ سطرا: ٥ و ٢٤ × ١٧ سم.

(٤) انظر مقدمة الكتاب في النسخة المخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٨ مصطلح) وهي في جزأين الأول (٣١٩) ورقة والثاني (٣٣٤) ورقة، ورتبه على الحروف المجانية وجعل لكل اسم من الحرف بابا.

قال ابن خالكان : لم يوضع منه ^(١) .

١١ - (كشف النقاب عن الأسماء والألقاب ^(٢)) لأبي الفرج عبد الرحمن ابن علي (ابن الجوزي) (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) .

١٢ - (المستدرك على الأكمال لابن مأكولا) للحافظ محمد بن عبد القوي البغدادى (ابن نقطة) المتوفى سنة (٦٢٩ هـ ^(٣)) .

١٣ - (المشتبه في أسماء الرجال) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) وهذا الكتاب ثمرة الجهود التي بذلها من سبق الذهبي في هذا الباب ، مما جاء في كتب الأزدى وابن مأكولا وابن نقطة ، وشيخ الذهبي أبي يعلى القزويني وغيرهم ، وأضاف إلى ذلك ما وقع له أو تنبه إليه ^(٤) ، وطبع هذا الكتاب في لندن سنة (١٨٦٣ و ١٨٨١ م) في (٦١٢) صفحة ، وقدم له الدكتور (دوجونغ) . وللذهبي أيضا (المقتنى في سرد الكنى) وهو مختصر كتاب الحاكم الكبير بعد أن زاد الذهبي عليه ورتبه على حروف المعجم ^(٥) .

١٤ - (تحفة ذوى الأرب في مشكل الأسماء والنسب) لابن خطيب

(١) الأعلام ص ١٨٢ ج ٥ .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٠ .

(٣) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (١٠ مصطلح) في ١٦٠ ورقة مسطرتها : ٢٧ سطرا / ٢٨ × ٢٠ سم .

(٤) ذكر الذهبي هذا في مقدمته . ولابن ناصر الدين محمد بن أبي بكر البغدادى (٧٧٧ - ٨٤٢ هـ) كتاب (التوضيح لكتاب المشتبه في الرجال) للذهبي يوجد منه الجزء الأول في دار الكتب المصرية تحت رقم (ب ٢٣٢٩١) مصورا عن النسخة الخطية في مكتبة سوجاج تحت رقم (١١١ حديث) .

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٩١ .

الدهشة محمود بن أحمد المحدثاني القبيوي الأصل ، (٧٥٠ - ٨٣٤ هـ) وقد ألفه سنة (٨٠٤ هـ) وطبع ببلندن سنة (١٩٠٥ م) مع مقدمة بالألمانية .

١٥ - (نزهة الألباب في الألقاب) للحافظ أبي الفضل شهاب الدين :
ابن حجر الكفائي السقلائي (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) جمع فيه ما لغيره وزاد أشياء كثيرة مما فات سلفه^(١) .

(ف) وأما كتب الأنساب فأشهرها :

١ - (ما اتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم غير أن في بعضه زيادة حرف واحد^(٢)) لأن بكر أحمد بن علي بن ثابت ، الخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) .

٢ - (الأنساب المتفقة في الخط المماثلة في النقط والضبط) للشيخ محمد بن طاهر المقدسي (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ) وذيل تلميذه محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى الأصبهاني (المتوفى سنة ٥٨١ هـ) عليه وطبعاً معاً في مجلد واحد ببلندن سنة (١٨٦٥ م) .

٣ - (اقتباس الأنوار والقباس الأزهار في أنساب الصحابة ، ورواة الآثار) لأن محمد عبد الله بن علي اللخمي الأندلسي المعروف بالرشاطي (٤٦٦ - ٥٤٢ هـ) وهو كتاب قد أحسن فيه وأجاد ، وتلقاه عنه الناس^(٣) .

(١) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٣٦ مصطاح) في (٧٠) ورقة مسطرتها ٢٣ سطراً : ١٧ × ٢٥ سم . وقد رتبته على أبواب ثلاثة .

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية ملحقة بكتاب (تلخيص المتناهي) في (٦٧) ورقة تحت رقم (٣١ مصطاح) .

(٣) الرسالة المستطرفة ص ٩٤ .

٤ - (الأنساب) لنجاح الاسلام اى سعيد عبد الكريم بن محمد بن ابي المظفر النعمي السمعاني صاحب التصانيف الكثيرة (٥٠٦ - ٥٦٢ هـ) ذكر فيه أنساب الرجال ، وذكر لمن يترجم له سيرته وقول الناس فيه من جرح أو تعديل ، وشيوخه ومن روى عنه ، ورتبه على حروف المعجم . قدم له المستشرق (مارج ليوس) وطبع بالزنگراف سنة (١٩١٢ م) بمدينة ليدن^(١) .

٥ - (الباب) في ثلاثة مجلدات لعلی بن محمد الشيباني الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه . وقد طبع في ثلاثة أجزاء بمصر سنة (١٣٥٦ - ١٣٥٩ هـ)^(٢) .

٦ - (نسبة الحديث إلى الآباء والبلدان)^(٣) لمحمد بن محمود محب الدين : ابن النجار (٥٧٨ - ٦٤٣ هـ) .

٧ - (الاكنساب في تلخيص كتب الأنساب) للقاضي قطب الدين محمد ابن محمد الخيضرى الشافعى (٨٢١ - ٨٩٤ هـ) وهو مختصر كتاب أنساب السمعاني وضم إليه ما عند ابن الأثير والرشاطى وغيرهما^(٤) .

• • •

رأى : كتب في الجرح والتعديل :

إن ظهور هذا النوع من المصنفات كان نتيجة حتمية لجهود النقاد ،

(١) توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٣٦ تاريخ) .

(٢) وقد انسخ السيوطى الباب في كتابه (لب الباب في تحرير الأنساب) وطبع في ليدن

سنة (١٨٥١ م) .

(٣) انظر الأعلام ص ٣٠٧ ج ٧ ، وقارن بالرسالة المنطوقة ص ٩٤ .

(٤) انظر رسالة المنطوقة ص ٩٤ .

ودراستهم أحوال الرجال من حيث قبول أخبارهم أو عدم قبولها ، وقد رأينا
القوانين التي طبقها النقاد على كل راو لمعرفة حاله ، وعرفنا سموم وزاهتهم في
في تقدم ، قال الذهبي : (وقد ألف الحفاظ مصنفات جمة في الجرح والتعديل ،
ما بين اختصار وتطويل ، فأول من جمع كلامه في ذلك الامام الذي قال فيه
أحمد بن حنبل : ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان ، وتسكلم في ذلك
بعده تلامذته يحيى بن معين ، وعلى بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، وعمرو بن
على الفلاس ، وأبو خيثمة ، وتلامذتهم كآب زرعة ، وأبي حاتم ، والبخاري ،
ومسلم ، وأبي اسحاق الجوزجاني السعدي ، وخلق من بعدهم ، مثل النسائي ،
وابن خزيمة ، والترمذي ، والديلمي ، والمفيلي ، وله مصنف مفيد في معرفة
الضعفاء ، ولأبي حاتم بن حبان كتاب كبير . . . ولأبي أحمد بن عدي كتاب
الكمال ^(١) .

والمصنفون في هذا العلم لهم مناهج مختلفة في التصنيف ، فمنهم من ذكر في
في مصنفه الكذابين والضعفاء ، ومنهم من أضاف على ذلك فذكر بعض
الموضوعات ، ومنهم من صنف في الثقات فقط ، ومنهم من صنف في الضعفاء
والثقات معا ، ولذلك نستعرض في هذه الفقرة ما صنف في الضعفاء أو الثقات ،
أو ما صنف فيهما ، ونفرد في فقرة خاصة ما صنف في الموضوعات . وقد جمعت
في موضوع الجرح والتعديل نيفا وثلاثين كتابا ، أذكر أشهرها :

١ - (الجرح والتعديل ^(٢)) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل

(١٦٤ - ٢٤١ هـ) .

(١) انظر ميزان الاعتدال ص ٢ ج ١ .

(٢) معجم المؤلفين ص ٩٦ ج ١ .

٢ - (الضعفاء^(١)) لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي الزهري
(٨٢٤٩ -) .

٣ - (الجرح والتعديل) و(الضعفاء^(٢)) لأبي اسحاق ابراهيم بن يعقوب
السدي الجوزجاني المتوفى سنة (٨٢٥٩) .

٤ - (الضعفاء) للامام محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ - ٨٢٥٦)
وقد طبع بالهند مع التاريخ الصغير للبخاري ، وطبع معه كتاب الضعفاء والمتروكين
لنسائي . وذلك سنة (٨١٣٢٥) .

٥ - (تاريخ) في الثقات والضعفاء لأحمد بن أبي خيثمة النسائي البغدادي
(١٨٥ - ٨٢٧٩) قال فيه الخطيب البغدادي لا أعرف أغزر فوائد منه^(٣) .

٦ - (تاريخ الضعفاء والمتروكين) للامام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد
ابن علي النسائي (٢١٥ - ٨٣٠٣) وقد رتبته على حروف المعجم ، وطبع ضمن
(مجموعة بالهند سنة ٨١٣٢٥) .

٧ - (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبي حاتم بن ادريس الحنظلي
الرازي (٢٤٠ - ٨٣٢٧) وهو من أعظم كتب الجرح والتعديل التي وصلتنا
ومن أغزرها فائدة ، وأوثقها صلة بنقاد الرجال الذين عرفهم تاريخ الحديث .
لهذا لا بد من بسط القول فيه .

فقد تتلمذ ابن أبي حاتم علي والده أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي وعلي
أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي وهما من طبقة البخاري ، فأخذ عنهما

(١) الأعلام من ٩٢ - ٧ .

(٢) معجم المؤلفين من ٢٨ - ١ وقارن بالرسالة المستطرفة من ١١٠ .

(٣) الرسالة المستطرفة من ٩٧ ، ويقع في ثلاثين مجلدا صغارا واثني عشر كبارا .

علم الجرح والتعديل، وأفاد منها كثيرا في تصنيف كتابه ، وحرص على استيعاب
نصوص أئمة العلم في الحكم على الرواة بتعديل أو جرح ، وزاد فوائد وزيادات
في كثير من التراجم ، يندر وجودها عند من سبقه ، كما استدرك على البخارى
في بعضها ، وقد جمع كتابه نصوص أبيه في الجرح والتعديل ، ونصوص أبي
زرعة ، ونصوص البخارى ، إلا أنه استغنى عن نصوص البخارى بموافقة أبيه
للبخارى في غالب تلك الأحكام ، وتبع ابن أبي حاتم نصوص الأئمة ، فأخذ عن
أبيه وعن محمد بن إبراهيم بن شبيب ما رواه عن عمرو بن القلاس مما قاله باجتهاده ،
ومما يرويه عن عبد الرحمن بن مهدي (١٣٥ - ١٩٨ هـ) ويحيى بن سعيد
القطان (١٢٠ - ١٩٨ هـ) مما يقولانه باجتهادهما ، ومما يرويانه عن سفيان الثوري
(٩٧ - ١٦١ هـ) وشعبة بن الحجاج (٨٢ - ١٦٠ هـ) ، وأخذ عن صالح بن
أحمد بن حنبل ما يرويه عن أبيه ، وأخذ عن صالح أيضا وعن محمد بن أحمد بن البراء
ما يرويانه عن علي بن المديني (١٦١ - ٢٣٤ هـ) مما يقوله باجتهاده ومما يرويه
عن سفيان بن عيينة (١٠٧ - ١٩٨ هـ) وعن عبد الرحمن بن مهدي وعن
يحيى بن سعيد القطان ، واتصل بجميع أصحاب الامام أحمد ويحيى بن معين
(١٥٨ - ٢٣٣ هـ) فروى من أبيه عنهما ، وعن أبيه عن اسحاق بن منصور
عن يحيى بن معين ، وروى عن غيرهم ، كما أخذ عن عباس الدوري (المتوفى
سنة ٢٧١ هـ) .

لهذا كان كتابه زاخرا بنصوص الأحكام التي أصدرها جهابذة علم الجرح
والتعديل ، وبهذا يفوق كتاب التاريخ الكبير للبخارى ، لأنه قلما ذكر
البخارى في تاريخه جرحا وتعديلا ، وهذا لا ينقص من قيمة كتاب البخارى ،
فربما فعل ذلك عمدا لأنه ألف في الضعفاء كتابا منفردا .

ورتب ابن أبي حاتم كتابه على حروف المعجم بالنسبة للحرف الأول من

الاسم فقط ، ففي باب الألف نرى باب أحمد ثم باب إبراهيم ثم باب إسماعيل ثم باب أيوب ثم باب آدم وهكذا ، وإذا كثرت التراجيم في الباب رتبها على أبواب ذيلية بحسب أول أسماء الآباء ، فقدم في الأحمدين من أول اسم أبيه ألف ثم من أول اسم أبيه باء وإذا كثرت التراجيم في الباب رتبهم باعتبار اسم الأب والجد ، كما فعل في من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله ، فذكر أولا من أول اسم جده ألف ثم من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله وأول اسم جده باء وهكذا وجعله في أربعة أجزاء كبيرة ضمت (١٨٠٥٠) ترجمة ذكر كل راو وما قيل فيه بأسانيد صحيحة . وجعل للكتاب مقدمة هي مفتاح له ، في جزء مفرد سماها (مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) ، وهي عظيمة جدا ، تكلم فيها حول هذا العلم وترجم لجهاذته ترجمة وافية ، فكان الكتاب فريدا في فنه ، لا يستغنى عنه عالم في الحديث وعلومه . وهو صورة صادقة عن مؤلفات لا ندرى عددها كانت في ذلك العصر ، لم يكتب لها الوصول إلينا ، وقد طبع هذا الكتاب بالهند (سنة ١٣٧٣ هـ) في تسع مجلدات ، مجلد للمقدمة ، ومجلدان لكل جزء من أجزائه الأربعة ^(١) .

٨ - (الثقات ^(٢)) لأبي حاتم بن حبان البستي ، (المتوفى سنة ٣٥٤ هـ)

(١) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٨١١٢) وقد حصلت مكتبة كاية دار العلوم أخيرا على نسخة منه .

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية ولكنها ناقصة والوجود يبدأ من أسماء (أتباع التابعين) وقسم من (أتباع أتباع التابعين) من الألف إلى آخر حروف الذال و (١٨٣) ورقة تحت رقم (٢٠٨ طلعت مصطلح) ، وقد رتب نور الدين البهيمي (٧٢٥ - ٨٠٧ هـ) ثقات ابن حبان على حروف اللجم وسماه (ترتيب كتاب الثقات) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في مجلدين في (١٨٣/١٩٦) ورقة تحت رقم (٣٧٠ مصطلح) .

ولكنه تساهل في توثيق بعض من ذكرهم ، ولهذا وجب التنبيه إلى أن توثيق ابن حبان دون توثيق غيره .

٩ - (الكامل)^(١) في معرفة ضعفاء الحديثين وعمل الحديث . للحفاظ الكبير أبي أحمد عبد الله بن محمد بن عدى الجرجاني (٢٧٧ - ٣٦٥ هـ) ذكر في كتابه هذا كل من تسلم فيه ولو كان من رجال الصحيحين ، وذكر في ترجمة كل واحد حديثاً فأكثر من غرائب ومناكيره ، وهو أكل كتب الجرح وعلية الاعتماد فيها .

١٠ - (تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم)^(٢) لأبي حفص ، عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (٢٩٧ - ٣٨٥ هـ) . وقد رتبته على حروف المعجم .

١١ - (المدخل) للإمام الحاكم^(٣) أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) تكلم في قسم منه عن الجرحين وبسط القول في هذا .

١٢ - كتاب (الضعفاء المتروكين - أو أسماء الضعفاء الواضعين)^(٤) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي : ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) ، وقد ذكر

(١) يوجد منه في دار الكتب المصرية خمسة عشر جزءاً مخطوطاً بأرقام مختلفة تكون أجزاء مختلفة من (الكامل) ثلاث نسخ إلا أنها ناقصة وهي تحت رقم (٩٢ - ٩٦ مصطلح) .

(٢) أظن الأعلام من ١٩٦ ج ٥ .

(٣) طبع بحلب سنة (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) بإشراف الشيخ رافع الطباخ .

(٤) توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية مأخوذة بالتصوير النسخي من نسخة كتب سنة (٧١٠) في (١٧٦) لوحة وتشتمل كل لوحة على صفحتين وفيها طيارات كثيرة . تحت رقم (٣٧١ مصطلح) .

فيه الضعفاء الواضعين ، وذكر من جرحهم من الأئمة الكبار المحافظين ، ورتبه على حروف المعجم .

١٣ - (ميزان الاعتدال) للامام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ - ٥٧٤٨) وهو في ثلاثة أجزاء ، سلك فيه مسلك ابن عدي ، فذكر كل من تكلم فيه وإن كان ثقة ، وذكر في ترجمة كل راو حديثاً أو أكثر من غرائب ومناكيره . طبع في مصر سنة (١٣٢٥هـ) في ثلاث مجلدات فيها (١٠٩٠٧) تراجم ، والذهبي (رسالة في الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردم) ^(١) .

١٤ - (الاغنياء بمعرفة من رمى بالاختلاط) ^(٢) لبرهان الدين ابراهيم بن محمد الحلبي سبط ابن العجمي (المتوفى سنة ٨٤١هـ) وله أيضاً (التيبين لأسماء المدلسين) ^(٣) وله أيضاً (الكشف الخفي على من رمى بوضع الحديث) ^(٤) .

١٥ - (لسان الميزان) للحافظ ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) ضمنه الميزان وزاد عليه ، وفيه نحو (١٤٣٤٣) ترجمة وقد طبع بالهند سنة ١٣٢٩ - (١٣٣١هـ) في ستة أجزاء . ولابن حجر أيضاً (طبقات المدلسين) طبع بمصر سنة (١٣٢٢هـ) .

١٦ - (الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة) لزين الدين قاسم بن قطلوبغا

(١) طبع في مصر سنة (١٣٢٤ - ١٩٠٦ م) . وقد استدرج على الذهبي في ميزانه سبط ابن العجمي في كتاب سماه (مثل الهبان في مزار الميزان) توجد منه نسخة مخطوطة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٤٦ ب) .

(٢) ذكر في كتابه هذا من اخطأ في آخر عمره من الثقات ، وذكر من خسه بذلك . وقد بين أحياناً السنة التي اخطأ فيها الراوي . وقد طبع مجلد (سنة ١٢٥٠هـ - ١٩٣١ م) بإشراف الشيخ راغب الطباخ .

(٣) طبع مجلد بإشراف الشيخ راغب الطباخ مع رسالة الاغنياء السابقة الذكر .

(٤) انظر تحذير المدلسين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين ص ١٨

(١٠٢ - ٨٧٩) وهو في أربع مجلدات .^(١)
وقد أغفلت كثيراً من المؤلفات التي استمدت من هذه الأصول خشية الإطالة .

خامساً - المؤلفات في الموضوعات :

- جمعت في هذا الموضوع نحواً من أربعين مؤلفاً أذكر أشهرها :
- ١ - (تذكرة الموضوعات) لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨ - ٥٠٧) وتبه على حروف المعجم ، وفيه يذكر الحديث ويذكر من جرح رايه من الأئمة . طبع بمصر سنة (١٣٢٣هـ) .
 - ٢ - (الموضوعات في الأحاديث المرفوعات)^(٢) لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الهمداني الجوزي (المتوفى سنة ٥٤٣هـ) نص فيه على أحاديث موضوعة ، وبين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحيح لها .
 - ٣ - (الموضوعات الكبرى) لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧) وهو في أربع مجلدات ، تناول فيه ما ورد من الأحاديث في كتاب الكامل لابن عدي والضمفاء لابن حبان ، والعقبى والأزدي وتفسير ابن مردويه ومعجم الطبراني الثلاثة وتصانيف الخطيب ، ومصنفات أبي نعيم ، وغيرها من الكتب ، ونسأهل في الحكم على تلك الرويات بالوضع ، فقد أورد فيه الضعيف بل الحسن بل الصحيح مما في سنن أبي داود^(٣) . لهذا كثر انتقاد العلماء له .

(١) الرسالة المنتطرة من ١١٠ (٢) الرسالة المنتطرة من ١١٢ .

(٣) انظر مقدمة كتاب تنزيه الشريعة من : ل ، ويوجد الجزء الثاني من موضوعات ابن الجوزي في دار الكتب المصرية من نسخة تحت الرقم (١٤٧ م) والجزء الأخير من نسخة تحت الرقم (٤٨٨ حديث) وكلاهما مخطوط .

٤ - المتنى عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شئ في هذا الباب (لحافظ ضياء الدين أبى حفص عمر بن بدر الموصلى الحنفى (المتوفى سنة ٦٢٣ هـ) ^(١) .

٥ - (الأحاديث الموضوعة التى يروونها العامة والقصاص) ^(٢) رسالة

لعبد السلام بن عبد الله (ابن تيمية) الحرانى (- ٦٥٢ هـ) جد الإمام أحمد بن

عبد الحليم (ابن تيمية) ، وله رسالتان فى الموضوعات تشدد فيها ما كان الجوزى ^(٣) .

٦ - (الباعث على الخلاص من حوادث الفصاص) ^(٤) للحافظ زين

الدين عبد الرحيم العراقى (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)

٧ - (الآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) للحافظ جلال الدين

السيوطى (٨٤٩ - ٩١١ هـ) اختصر فيه كتاب ابن الجوزى واستدرك عليه

وزاد فيه ما ورد فى تاريخ ابن عساكر ، وابن النجار ، ومسند الفردوس ، وتصانيف

أبى الشيخ ^(٥) . وله أيضاً (ذيل الآلئ المصنوعة) ، و (التعقبات على الموضوعات) ،

و (النكت البديعات) .

٨ - (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لأبى الحسن

على بن محمد (ابن عراقى) السكتانى (المتوفى سنة ٩٦٣ هـ) وهو كتاب جامع زاد

فيه على السيوطى فى لآئيه واستدرك عليه ، وجله فى مقدمة وقسمين . ذكر فى القسم

الأول أسماء الوضعيين ومن أنهمهم بالكذب من رجال القدر ، وذكر فى القسم

(١) طبع الكتاب سنة (١٣٤٢ هـ) بالقاهرة .

(٢) أنظر النسخة المخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (١٧٦ مجاميع) .

(٣) أظهرها تحت الرقم (٨٧ مجاميع) فى قسم المخطوطات من دار الكتب المصرية .

(٤) لحصة السيوطى فى كتابه (تحذير الخواص من أكاذيب الفصاص) فى الفصل التاسع منه واستدرك عليه فى الفصل العاشر . وقد طبع كتاب السيوطى سنة (١٣٥١ هـ) بمصر .

(٥) أنظر مقدمة الآلئ . وقد طبع الكتاب فى مجلدين بمصر سنة ١٣١٧ هـ وطبع

تليقاته على ابن الجوزى سنة ١٨٨٦ م . بالهند .

الثانى الأحاديث الموضوعية ، وبين الرواة المتهمين بوضعها . وطبع الكتاب سنة (١٣٧٨ هـ) بمصر في مجلدين .

٩ - (تذكرة الموضوعات) لرئيس محدثى الهند جمال الدين محمد بن طاهر بن علي الفتنى (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ) وله أيضاً (قانون الأخبار الموضوعة والرجال الضعفاء) طبعا (سنة ١٣٤٣ هـ) بالقاهرة في مجلد واحد .

١٠ - (الكشف الالهى عن شديد الضعف والموضوع الواهى) لمحمد بن محمد الحسينى السندروسى (المتوفى سنة ١١٧٧ هـ) جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهى والموضوعة .^(١)

١١ - (الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة) للقاضى أبى عبد الله محمد بن على الشوكانى ، (١١٧٣ - ١٢٥٥ هـ) وقد أفاد من مؤلفات السلف ، إلا أنه تساهل فى الحكم على بعض الأحاديث بالوضع ، فأدرج فيه بعض الأحاديث الصحيحة والحسنة ، وقد نبه إلى هذا عبد الحى الكنتوى فى كتابه (ظفر الأمانى)^(٢) ، وطبع الكتاب سنة (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) بمصر .

١٢ - (تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين) لعبد الله : محمد البشير ظافر المالكى (- ١٣٢٥ هـ) ذكر فيه الأحاديث الموضوعة المشهورة على الألسنة ، ورتبها على حروف المعجم ، وقدم لكتابه بتمهيد قيم جامع حول المؤلفات فى الموضوعات والكتب والرسائل المشحونة بالموضوعات . وقد طبع هذا الكتاب سنة (١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م) بمصر .

وهناك مؤلفات ورسائل كثيرة فى مواضيع مختلفة ، تذكر الأحاديث

(١) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٠ م - الحديث) .

(٢) انظر الرسالة المنطرفة ص ١١٤ .

الموضوعة في باب من أبواب العبادات أو المعاملات وغير ذلك لم أتعرض لذكرها وهي أكثر من أن تحصى .

وإلى جانب هذه المؤلفات ظهرت مؤلفات كثيرة في الأحاديث المشهورة بين الناس ، تبين منزلة الحديث من القوة أو الضعف ، أو الوضع ، ومن أشهر هذه الكتب :

١ - (التذكرة في الأحاديث المشهورة) ليدر الدين الزركشي (٧٤٥هـ - ٨٧٩هـ)^(١) .

٢ - (الآلء المشورة في الأحاديث المشهورة ، مما ألفه الطبع وليس له أصل في الشرع) للحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)^(٢) .

٣ - (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الأنسة) للحافظ المؤرخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢هـ) رتبه على حروف المعجم ، كما رتبه على الأبواب وهو كتاب جيد مفيد طبع سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) بمصر .

وقد أغفلت كثيراً من الكتب التي ألفت في الأحاديث المشهورة ، مما لحظه الخلف من كتب السلف ، فلم أذكر مؤلفات السيوطي ، والسمودي ، والمنوفي ، والخليلي ، والغزالي ، والعجلوني الجراحي ، وابن جبار الله ، والبيروني وغيرهم . مكتفياً بأهمها الكتب .

تلك أشهر الكتب التي تناولت موضوعنا ، وأما الكتب التي ألفت في مصطلح الحديث وعلومه وآراء العلماء فيها ، والمقبول من الحديث والمردود ،

(١) الرسالة المستخرجة من ١٤٣ .

(٢) انظر تحذير اللعين للبشير طافرس ١٥ .

وغير ذلك مما تناوله كتب المصطلح الكثيرة المنظوم منها والمنثور - فهي تفوق الحصر ، ومن النادر أن نرى محدثاً ليس له مصنف أو رسالة يتناول فيها علم مصطلح الحديث أو بعضه .

كما ألفت كتب كثيرة في علل الحديث وغريبه ومختلفه ^(١) ، ومن يطلع على مخطوطات دار الكتب المصرية ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق وغيرهما من المكتبات الإسلامية يجد كنوزاً علمية نادرة ساهمت في حفظ الحديث سنداً ومتناً ، وبينت صحاحه من سقمه ، وقد كانت تلك المؤلفات نتيجة لجهود العلماء على مر السنين ، وستبقى إلى ما شاء الله ، لأنها الحصن المنيع لحماية السنة الطاهرة المفسرة للكتاب الكريم . مصداقاً لقوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . » ^(٢) .

(١) انظر الرسالة المسطرة التي ضمت معظم ما ألف في الحديث وعلومه .

(٢) ٩ : الحجر .

